تفسير السلوك الإجرامي
في ضوء النظريات الوضعية
والمنهج الإسلامي

إعداد الدكتور

طه السيد أحمد الرشيدي

أستاذ القانون الجنائي المساعد

بكلية الشريعة والقانون بدمنهور جامعة الأزهر

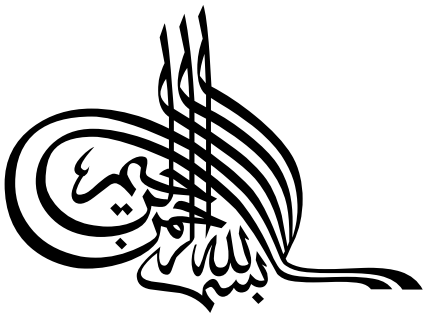

﴿قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَآ إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾

صدق الله العظيم

[سورة البقرة الآية رقم : ٣٢]

ملخص البحث العربي

الظاهرة الإجرامية من أخطر الظواهر الاجتماعية التي تهدد الإنسان في أمنه، واستقراره، بل وحياته. ولذلك؛ فقد قام علماء القانون، وعلماء النفس بدراستها وتفسيرها؛ لمعرفة الأسباب والعوامل التي قد تدفع ببعض الأشخاص إلي ارتكاب الجريمة دون البعض الأخر.

وتعددت الآراء والنظريات لتفسيرها: فأرجعها البعض لعوامل فردية داخلية تتعلق بالتكوين الخلقي والنفسي لشخص الجاني، وأرجعها البعض الآخر إلى عوامل خارجية اجتماعية متعلقة بالبيئة والتربية ودرجة التعليم والوسط الاقتصادي والسياسي...الخ، بينما جمع فريق ثالث بين كل هذه العوامل في اتجاه تكاملي لتفسير الظاهرة الإجرامية.

غير أن كثيرا من هذه النظريات قد انطلقت في بحثها لعوامل السلوك الإجرامي من فرضيات قد لا يصدقها الواقع، ولا يقرها الشرع، فجاءت نتائجها مائلة عن الصواب بقدر ميلها عن واقع الحال وعن مقتضيات الشرع.

وفي المقابل فإنه يوجد دراسات جادة لعلماء المسلمين تمثل اتجاه تكاملي في تفسير السلوك الإجرامي. وأن المنهج الإسلامي يقدم معالجة صحيحة لهذا السلوك، بحيث يمكن بناء نظرية متكاملة لحل مشكلة هذا السلوك.

والهدف من دراسة الأسباب المؤدية للجريمة وتفسيرها، يكمن في أن معرفة هذه الأسباب ، وعلاجها؛ يؤدي إلى الوقاية من الجريمة والحد منها بقدر الإمكان في المجتمع.

وفى ضوء ما تقدم فإن هذا البحث يهدف إلى بيان وتفسير السلوك الإجرامي في ضوء أهم النظريات الوضعية، ثم تقديرها من الناحية الشرعية. ثم تفسير السلوك الإجرامي في ضوء المنهج الإسلامي، والآثار المترتبة عليه ، ومدى الاستفادة منه في الوقاية من الجريمة ومكافحتها.

English summary

The criminal phenomenon is one of the most dangerous social phenomena that threaten the human being in his safety ,stability and even his life .Therefore law scholars and psychologists have taught and interpreted them to know the reasons and factors that may lead some people to commit the crime rather than others .

Many opinions and theories try to explain this phenomena ,some have attributed it to individual factors related to the physical and psychological development of the criminal. Others attributed it to external factors related to environment, educational level , economic level…etc, while others have attributed this phenomenae to both internal and external factors together.

Many of these theories were launched in their search for the factors of criminal behavior from hypotheses away from reality and not recognized by Sharia.

On the other side, there are serious studies of Muslim scholars that represent an integrative trend in interpreting criminal behavior. The Islamic approach provides correct treatment of this behavior so that an integrated theory can be constructed to solve the problem of this behavior.

The purpose of the study of the reasons leading to the crime and its interpretation is that the knowledge of these causes and treatment leads to the prevention of crime and reduction of them as much as possible in society.

In the light of the above, this research aims to explain the criminal behavior in the light of the most important theories, and its evaluation from the point of view of legitimacy and the interpretation of criminal behavior in the light of the Islamic approach and the consequences of it and the extent of its use in the prevention and control of crime.

مقـدمـــــة

إن الظاهرة الإجرامية، تعد من أخطر الظواهر الاجتماعية التي تهدد الكيان البشري في أمنه، واستقراره، بل وحياته. وانطلاقا من الخطورة التي تتسم بها هذه الظاهرة قام علماء القانون، وعلماء النفس بدراستها. وأولوها اهتماما كبيراً.

والجريمة ظاهرة قديمة قدم الإنسان، فمنذ أن ظهر الإنسان علي وجه الأرض ظهرت معه الجريمة، حيث قتل ابن آدم أخاه، بدافع الغيرة والطمع(١).

ومنذ بداية الخليقة والجريمة لم تنقطع من أي مجتمع من المجتمعات، بصرف النظر عن درجة تقدمه أو ثقافته، حتى أصبح الإجرام ظاهرة اجتماعية؛ ذلك أن الله تعالى قد خلق الإنسان وزود النفس البشرية بقدرات الخير والشر؛ فإذا تحكم جانب الخير علي جانب الشر اتجهت النفس إلي طريق الصلاح والاعتدال، وإذا طغي جانب الشر علي جانب الخير اتجهت إلي طريق الفساد والإجرام(٢).

---

(١) قال الله تعالي ﴿ **وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ * فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ [سورة المائدة الآيات: ٢٧-٣٠]

(٢) قال الله تعالى: ﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا* فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا* قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا*وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا**﴾ [سورة الشمس الآيات من ٧- ١٠]

وإعطاء الله تعالى الإنسان هذه القدرة والمكنة على أنواع التصرفات، إنما هو نوع من الإعذار للإنسان، وتحقيق قدر من الحرية والاختيار لديه؛ حتى يكون ذلك أساساً لمحاسبته عن أفعاله. وتصرفاته[١].

ومن المعلوم أن الجريمة ليست إلا عرضاً حادثاً، وأن لكل حادث سبباً، وأن الله جلت قدرته قد أقام الأمور وأجراها على أسبابها.

وفي مجال السلوك الإجرامي لا تتخلف هذه القاعدة، إذ لا تقع جريمة، ولا ينحرف مجرم إلا بأسباب، ووفق عوامل قد تظهر وقد تخفي، ولكن خفاءها لا يعني انعدامها، وإنما يعني خروجها عن دائرة المعرفة الإنسانية المتاحة.

وقد أشكل على الإنسان أمر هذه العوامل وتلك الأسباب، فراح يبحث عنها لعله يكشف غموضها ويظهر خافيها. ولقد حاول كثير من الفلاسفة والمفكرين، قديما وحديثا، دراسة الظاهرة الإجرامية وتفسيرها؛ لمعرفة الأسباب والعوامل التي قد تدفع ببعض الأشخاص إلي ارتكاب الجرائم دون البعض الأخر.

وهذه المحاولات لم تنتهي إلي رأي موحد ترجع إليه تلك الظاهرة، وإنما تعددت الآراء والنظريات لتفسيرها: فالبعض يرجع وجودها لأسباب فردية شخصية داخلية، أي تتعلق بالتكوين الخلقي والنفسي لشخص الجاني، والبعض يرجعها إلي عوامل خارجية اجتماعية متعلقة بالبيئة والتربية ودرجة التعليم والوسط الاقتصادي والسياسي... إلي غير ذلك من العوامل الخارجية التي تحيط بالجاني من الخارج، بينما جمع فريق ثالث

(١) د/ محمد عبد المنعم حبشي، الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي والقانون، طبعة دار نصر للطباعة والنشر، ٢٠٠٩م

بين كل هذه العوامل في محاولة من جانبهم لتفسير تلك الظاهرة وأطلقوا علي محاولتهم هذه" التفسير التكاملي للظاهرة الإجرامية"(١).

ولابد من التسليم ابتداء بتعدد هذه العوامل، وتشابكها على نحو يجعل البحث والحديث عنها هو من الأمور العسيرة، كما يجعل استقصاءها وحصرها وترتيبها بحسب فعاليتها أمراً أشد عسراً. كما أنه لابد من التسليم بأن بحوثاً جادة كثيرة قد تناولت هذه المشكلة، وأن هذه الأبحاث قد نمت وتطورت حتى صارت تعرف في مجال البحث العلمي بأنها نظريات علمية وهي ولا شك تضم قدراً كبيرا من الآراء والأفكار، ولا شك أنها قد أصابت وأخطأت كالشأن في سائر العلوم النظرية الاجتهادية.

ولكن الأمر الذي لابد من ذكره هنا هو أن كثيرا من تلك الأبحاث، وهذه النظريات قد انطلقت في بحثها لعوامل السلوك الإجرامي من مفترضات قد لا يصدقها الواقع، ولا يقرها الشرع، فجاءت نتائجها مائلة عن الصواب بقدر ميلها عن واقع الحال وعن مقتضيات الشرع. علماً بأن كثير من العلماء المسلمين من قبل قد تناولوا قضية السلوك الإنساني بشيء من الدراسة، فحرروا دراسات جادة يمكن الاعتماد عليها في مجال البحث العلمي عن تفسير وعوامل السلوك الإجرامي(٢).

وهذا ما شجعني على دراسة هذا الموضوع. خاصة وأن المنهج الإسلامي قد جعل قضية السلوك من أهم قضاياه، فجاء في الحديث الشريف "**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده**"(٣).

---

(١) د/ بكري يوسف، مبادئ علم الإجرام والعقاب، طبعة دار الأزهر للطباعة سنة ٢٠٠٩، ص٣.

(٢) د/علي حسن الشرفي، المنهج الإسلامي في تدريس علم الإجرام، بحث منشور في مجلة الشريعة والقانون بالقاهرة –جامعة الأزهر العدد السابع – ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م، ص٣٨.

(٣) وهذا هو لفظ الحديث في صحيح مسلم،. وفي البخاري عن أبي موسى قال: قالوا يا رسول الله أي =

كما أن التوجيهات الجادة نحو العودة إلى قواعد الإسلام وأحكامه قد جعلت الاهتمام عظيماً بتلمس منهج الشريعة الإسلامية في كل أمر من أمور الحياة ومن أعظم تلك الأمور أمر السلوك الإجرامي وعوامل وقوعه.

- **مشكلة البحث:**

إن البحث في تفسير السلوك الإجرامي لم يكن بالأمر السهل، خاصة عند كثرت النظريات العلمية في هذا الموضوع؛ ومنها ما يرتبط بذات المجرم عضوياً ونفسياً ومنها ما يرتبط بالبيئة المحيطة به ودوافعه نحو الجريمة؛ وتبدو الصعوبة كذلك عند تفسيره وفقاً للمنهج الإسلامي؛ حيث أن جل الدراسات الحديثة في هذا المجال قد خلت – أو كادت– من التوجه ذي النزعة الإسلامية واعتمدت على أبحاث ودراسات وضعية هي في أغلب حالاتها مناقضة للمسلمات الشرعية، ومخالفة لقواعد الدين الإسلامي، أو أنها – في أفضل حالاتها – خالية من الروح الإسلامية، فهي بمعزل عنها.

وكل ذلك يدعو لإجراء دراسات جادة لعوامل السلوك الإجرامي على ضوء مبادئ الشريعة الإسلامية وقواعدها وأصول منهاجها.

وهذا يجعل علي الباحث مسئولية أكبر في حالة الخوض في هذا الموضوع. وإن كان يخفف منها وجود محاولات سابقة في هذا المجال.

=

الإسلام أفضل قال: "من سلم المسلمون من لسانه ويده". وجاء في شرح ابن حجر العسقلاني (فتح الباري) أن معنى السؤال هو أي ذوي الإسلام أفضل، فكان الجواب: "من سلم المسلمون ...." أنظر صحيح مسلم للإمام مسلم بن حجاج – مكتبة عيسى البابي الحلبي– القاهرة، بدون تاريخ، جـ١، ص ٣٧، فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر العسقلاني، دار الريان، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م، جـ ١، ص٧١.

- **أهمية البحث وسبب اختياره:**

تتضح أهمية البحث في بيان وتفسير أسباب السلوك الإجرامي في ضوء أهم النظريات الوضعية والمنهج الإسلامي، القائم على مبادئ وأحكام الشريعة الإسلامية، بما يكون له الأثر الناجع في الحد من الجريمة أو تقليلها بقدر الإمكان. خاصةً وأن كثيرا من العلماء المسلمين من قبل قد تناولوا قضية السلوك الإنساني بشيء من الدراسة، فحرروا دراسات جادة يمكن الاعتماد عليها في مجال البحث العلمي عن عوامل السلوك الإجرامي.

وتبدو أهمية التعرض لدراسة هذا الموضوع كذلك في أن النظريات والمذاهب الوضعية قد انطلقت في بحثها لعوامل السلوك الإجرامي من مفترضات قد لا يصدقها الواقع، ولا يقرها الشرع، فجاءت نتائجها مائلة عن الصواب بقدر ميلها عن واقع الحال وعن مقتضيات الشرع.

ويُضاف إلى ذلك إنّ دراسة الأسباب المؤدية للجريمة وتفسيرها، يُعطي للمشرّع فرصة المساهمة في مكافحة الظاهرة الإجرامية، وللمختصين معرفة وسلطة في التنفيذ العقابي وذلك بالاختيار الأنسب للوسائل العقابية للمحكوم عليهم من خلال تصنيف المجرمين وخطورة الفعل الإجرامي. إلى جانب تحديد العقوبات والتدابير الاحترازية والاجتماعية المناسبة لكل فئة من المجرمين في ضوء ما تقدمه تلك الأبحاث والدراسات. لتحقيق هدف هو حماية المجتمع من الجريمة وتأهيل المحكوم عليهم وإعادة إدماجهم فيه مرة أخرى.

ولذا فإن الأمر يحتاج لإجراء دراسات جادة لأسباب السلوك الإجرامي في ضوء مبادئ الشريعة الإسلامية وقواعدها وأصول منهاجها. وذلك للأسباب التالية[١]:

١ – أن المنهج الإسلامي قد جعل قضية السلوك من أهم قضاياه، فجاء في الحديث الشريف "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده"[٢].

٢ – أن التوجيهات الجادة نحو العودة إلى قواعد الإسلام وأحكامه قد جعلت الاهتمام عظيماً بتلمس منهج الشريعة الإسلامية في كل أمر من أمور الحياة ومن أعظم تلك الأمور أمر السلوك الإجرامي وعوامل وقوعه.

٣ – وأخيراً فإن المنهج الإسلامي يقدم معالجة صحيحة، لمشكلة السلوك الإجرامي، بحيث يمكن بناء نظرية متكاملة لحل المشكلة على ضوء ذلك المنهج.

- **منهج البحث:**

في ضوء الهدف من البحث سيتم إجراء دراسة متكاملة لبيان وتفسير أسباب السلوك الإجرامي في ضوء أهم النظريات الوضعية والمنهج الإسلامي، وسوف أعرض لأهم النظريات الوضعية ثم التعقيب عليها بموقف الشريعة الإسلامية منها، ثم وضع تصور عام عن تفسير السلوك الإجرامي وفقاً للمنهج الإسلامي. وسوف أعتمد في هذا البحث على منهج الاستقراء والتحليل لموضوعات البحث، وسوف استعين في هذا الشأن بالكتاب والسنة المطهرة وبالمصادر الأصلية والكتب المعتمدة.

(١) د/علي حسن الشرفي، المرجع السابق، ص٣٨.

(٢) سبق تخريجه، انظر ص ٤.

- **خطة البحث:**

إن الحديث عن تفسير السلوك الإجرامي في ضوء أهم النظريات الوضعية والمنهج الإسلامي، يقتضي مني أن اعرض لأهم النظريات التي سادت في علم الإجرام باعتبارها محاولات لتفسير السلوك الإجرامي، مع بيان الأصول التي قامت عليها كل نظرية على حده ثم تقديرها من الناحية الشرعية. ثم التعرض بعد ذلك لتفسير السلوك الإجرامي في ضوء المنهج الإسلامي.

وعلى ضوء ذلك فسوف أتناول هذا البحث بمشيئة الله تعالى من خلال مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، كالتالي:

المقدمة: وتشتمل على التعريف بالبحث، ومشكلته، وأهميته، وسبب اختياره، ومنهجه، وخطته.

المبحث الأول: تفسير السلوك الإجرامي في ضوء أهم النظريات العلمية الوضعية، وفيه أربعة مطالب كالتالي:

المطلب الأول: تفسير السلوك الإجرامي في ضوء الاتجاه الفردي، وفيه فرعان كالتالي:

الفرع الأول: تفسير السلوك الإجرامي في ضوء النظرية التكوينية أو العضوية لـ سيزار لومبروزو.

الفرع الثاني: تفسير السلوك الإجرامي في ضوء نظرية التحليل النفسي.

المطلب الثاني: تفسير السلوك الإجرامي في ضوء الاتجاه الاجتماعي، وفيه فرعان كالتالي:

الفرع الأول: المدرسة الجغرافية أو مدرسة الخرائط.

الفرع الثاني: المدرسة الاجتماعية.

المطلب الرابع: الاتجاه التكاملي أو المختلط في تفسير الظاهرة الإجرامية (العوامل المتعددة)

المبحث الثاني: التفسير الإسلامي للسلوك الإجرامي والظاهرة الإجرامية، وفيه ثلاثة مطالب كالتالي:

المطلب الأول: الخلل النفسي كعامل ذاتي أو داخلي في تفسير السلوك الإجرامي.

المطلب الثاني: دور العوامل البيئية أو الخارجية وتأثيرها على السلوك الإجرامي.

المطلب الثالث: الآثار المترتبة على الأخذ بالمنهج الإسلامي في تفسير الظاهرة الإجرامية ومدى الاستفادة منه

الخاتمة : وتشتمل على أهم نتائج البحث.

الفهرس:

المبحث الأول

تفسير السلوك الإجرامي في ضوء أهم النظريات العلمية الوضعية

تمهيد وتقسيم:

منذ أن ظهرت الجريمة على وجه الأرض، والإنسان يحاول أن يجد تفسيرا لها. وقد تعددت اتجاهات الباحثين في هذا الصدد فولي كل فريق وجهة نحو جهة معينة، ويمكن رد الاتجاهات العلمية التي قيل بها في تفسير الظاهرة الإجرامية إلي اتجاهات ثلاث:

الأول: الاتجاه الفردي، وهو يُرجع الجريمة إلى عوامل تتصل بشخص المجرم.

الثاني: الاتجاه الاجتماعي، وهو يُرجع الجريمة إلى العوامل الاجتماعية وحدها.

الثالث: الاتجاه المختلط أو التكاملي، وهو يُرجع الجريمة إلى العوامل الفردية والاجتماعية معا.

وسوف أتناول أهم النظريات التي قيل بها في هذه الاتجاهات المختلفة تناولاً سريعاً مبيناً لأصول الفكرة التي تقوم عليها كل نظرية، ثم أعقب عليها بما يكشف عن وجهة الصواب فيها ووجه الخطأ وفقاً لما أراه مطابقا للمنهج الإسلامي. وذلك من خلال ثلاثة مطالب كالتالي:

المطلب الأول

تفسير السلوك الإجرامي في ضوء الاتجاه الفردي

تمهيد وتقسيم:

يراد بالاتجاه الفردي في تفسير الظاهرة الإجرامية، تلك النظريات التي تناولت هذه الظاهرة بالدراسة باعتبارها سلوكا فرديا يصدر عن الجاني؛ فهو يرجع الجريمة إلى أسباب وعوامل تتعلق بالجاني وتكمن داخله.

غير أن هناك من أرجع الجريمة إلى عوامل تكوينية عضوية (بيولوجية) وراثية، أو إلى الخلل في وظائف بعض الأجهزة الداخلية، خاصة الغدد، ومن أرجعها إلى عوامل نفسية وعقلية.

وسوف نتعرض لدراسة أهم نظريات هذا الاتجاه فنتناول الاتجاه التكويني العضوي في الفرع الأول، ثم الاتجاه النفسي والعقلي في الفرع الثاني.

الفرع الأول

تفسير السلوك الإجرامي في ضوء النظرية التكوينية أو العضوية لـ سيزار لومبروزو Cesare Lombroso

مضمون النظرية:

يطلق على نظرية لومبروزو[١] في تفسير السلوك الإجرامي نظرية "الارتداد" أي ان المجرم يمثل نمطاً من البشر الذين يتميزون بملامح خاصة ترتد بهم إلى صفات الإنسان الأول البدائي[٢]. فهي تقوم على **أن** العيوب الجسدية التكوينية هي سبب السلوك الإجرامي[٣].

---

(١) سيزار لومبروزو أو شيزاري لومبروزو كما يترجم البعض كلمة Cesare عاش في الفترة من (١٨٣٥) إلي (١٩٠٩). درس الطب بجامعات بادو، وفينا، وبافيا. واشتعل طبيبا بالجيش الإيطالي في نفس عام تخرجه (١٨٥٩) لمدة أربع سنوات إلي عام (١٨٣٦). وقد ساعده عمله هذا على القيام بعدد من الأبحاث على عدد من المجرمين الأسوياء والشواذ، الأحياء منهم والأموات – فقد بحث نحواً من ٣٨٣ جمجمة للمجرمين بعد موتهم، وفحص نحوا من ستة آلاف من المجرمين الأحياء فخلص من كل ذلك إلى وضع نظريته المشهورة عن الإنسان المجرم. سنة (١٨٧٦). وفي نفس العام نشر الطبعة الأولي من مؤلفه (الإنسان المجرم L'homme criminel) والتي ترجمت هي والطبعة الخامسة منه إلي اللغة الفرنسية، حيث ظهرت منه خمس طبعات ترجمت إلي العديد من اللغات المختلفة. وقد تأثر لومبروزو بنظرية دارون في النشوء والارتقاء لذا قرر أن المجرم هو ارتداد للإنسان البدائي الأول. انظر د/ حسنين عبيد، الوجيز في علم الإجرام وعلم العقاب، طبعة ١٩٧٨، ص ٣٦، ٣٧ ، د/ عبد الأحد جمال الدين: الاتجاهات الانتربولوجية في تفسير الظاهرة الإجرامية، بحث منشور في مجلة العلوم القانونية والاقتصادية، السنة الحادية عشرة، العدد الثاني، يوليو ١٩٦٩، ص ٧١٢.

(٢) ومن تلك الملامح عدم انتظام شكل الجمجمة، وضخامة الفكين، وبروز عظام الخد، مع وجود فرطحة في الأنف وغزارة في شعر الرأس وكثرة تجاعيد البشرة، وزيادة طول الأذرع والأرجل بشكل ملحوظ. كما يضاف لهذه الخصائص الجسمانية، خصائص أخرى ذات طابع نفسي، أهمها ضعف الإحساس بالألم، وسهولة الإثارة، وانعدام الخجل أو الشعور بالشفقة أحيانا على الآخرين د/ هدى حامد قشقوش، أصول علمي الإجرام والعقاب، طبعة دار النهضة العربية ٢٠١٣، ص ٥٠.

(٣) أنظر في عرض نظرية لومبروزو. د/ رؤف صادق عبيد، اصول علمي الإجرام والعقاب، طبعة ١٩٨٩، ص٧٩، د/ يسر أنور علي ، د/ آمال عثمان، علم الإجرام والعقاب، ١٩٧٠، ص١٢٠، د/ بكري يوسف، المرجع السابق، ص٤٧ وما بعدها.

وقد ساعد لومبروزو عمله كطبيب بالجيش الإيطالي علي التركيز على التكوين الخلقي والصفات الجسدية، في جسم المجرم، ومدى علاقتها بسلوكه الإجرامي كما أتاح له فرصة فحص أكثر من ثلاثة آلاف جندي بهدف معرفة الصفات التكوينية التي تميز سكان المناطق المختلفة في ايطاليا. ومن ناحية أخري، سمحت له ظروف عمله كأستاذ لمادة الطب الشرعي بجامعة تورينو سنة ١٨٧٦ بتشريح عدد كبير من جماجم المجرمين الموتى، حيث كان متخصصا في جراحة المخ، بلغ(٣٨٣) جمجمة، بالإضافة إلي قيامه بفحص عدد (٥٩٠٧) من المجرمين الأحياء بهدف الوقوف علي الصفات التكوينية التي تميز المجرمين عن غيرهم. ومن ناحية ثالثة، قام بإجراء العديد من الفحوص والدراسات علي سلوك بعض الجنود الأشرار لاستخلاص الصفات المشتركة بينهم. ومن ناحية أخيرة، قام بفحص ثلاث حالات لعدد من الجناة الخطرين كانت بمثابة فتحا له نحو تكوين نظريته(١).

(١) وهذه الحالات هي: ١- حالة أحد اللصوص المحترفين ويدعي" فيليلا Vilella"، حيث قام بفحصه وهو علي قيد الحياة فلاحظ أنه يتميز بخفة في الحركة والميل إلي التهكم والسخرية من الآخرين، والتفاخر بقدراته الإجرامية. وبعد وفاته قام بتشريح جثته فلاحظ وجود تجويف غير عادي في مؤخرة جمجمته.

٢- حالة أحد الجنود في الجيش الإيطالي ويدعي" مسديا Mesdea"، والذي كان مصابا بالصرع، وفي أحد الأيام ولسبب تافه يتمثل في أن أحد زملائه سخر من بلدته التي ينتمي إليها، فقام وثار وقتل ثمانية من رؤسائه وزملائه، ثم سقط فاقد الوعي لمدة اثنتي عشرة ساعة وعندما أفاق لم يتذكر شيئا عما حدث.

٣- حالة مجرم خطر يدعي" فرسني Verseni" فقد أكد لومبروزو أنه وجد لديه خصائص وعلامات الإنسان البدائي، فقد قام هذا المجرم بقتل عشرين امرأة بطريقة تتسم بالوحشية والقسوة البالغة واعترف بأنه كان يشرب دمائهن بعد قتلهن. د/ هدى قشقوش، المرجع السابق، ص ٥٠

وقد خلص لومبروزو من دراسته لتلك الحالات وغيرها إلي عدة نتائج ضمنها مؤلفه الشهير" الإنسان المجرم L'homme criminel" عام ١٩٧٦، وهذه النتائج هي[١]:

١- لاحظ لومبروزو وجود مجموعة من الخصائص العضوية المشتركة بين جميع طوائف المجرمين وأن المجرمين يتميزون منذ الولادة بتشويه أو شذوذ، يتمثل في سمات وصفات عضوية ونفسية انحطاطية ، سماها " لومبروزو " وصمات أو سمات الانحلال وأهمها: ١- عدم انتظام شكل الجمجمة . ٢- بروز وعرض الفكين . ٣- كبر الأذنين . ٤- فرطحة الأنف أو اعوجاجه. ٥- نتوء عظام الخدين. ٦- ضيق الجبهة وانحدارها. ٧-عدم انتظام الأسنان . ٨- طول الذراعين . ٩- كثافة شعر الرأس والجسم .

ويمثل المجرم الشخص الذي تتوفر فيه أكثر من خمس سمات، ولا يمكن تمييزه بأقل من ثلاث سمات .

ولاحظ أيضا وجود عدد من السمات والصفات النفسية للمجرم بالولادة (بالفطرة، بالوراثة) والمشتركة بين كافة المجرمين ومنها: ١- انعدام أو قلة الإحساس ٢- القسوة البالغة وعدم الشعور بتأنيب الضمير ٣- سرعة الانفعال والغضب ٤- الغرور والقابلية للاستثارة بسرعة.

كما لاحظ وجود مجموعة من الصفات أو الخصائص العضوية والنفسية التي يتميز بها بعض طوائف المجرمين عن غيرهم، والتي تختلف

(١) د/ علي عبد القادر القهوجي، د/ فتوح الشاذلي، علم الإجرام وعلم العقاب، طبعة دار المطبوعات الجامعية،١٩٩٩، ص ٥٥ وما بعدها، د/ احمد حسني طه، مذكرات في علم الإجرام، طبعة بهجات للطباعة، دون تاريخ، ص ٧٢ وما بعدها، د/ بكري يوسف، المرجع السابق، ص٤٨ وما بعدها.

من مجرم لأخر حسب الميل الإجرامي لدي كل منهم. فهؤلاء الذين يرتكبون الجرائم الجنسية يتميزون بطول الأذنين وضخامة الأنف مع فرطحتها وطول الذقن وتقارب العينين. وهؤلاء الذين يرتكبون جرائم السرقة يتميزون بخفة الحركة وصغر العينين وعدم استقرارهما وكثافة شعر الحاجبين وميل الجبهة واستخدام اليد اليسرى وندرة شعر الذقن والحركة غير العادية لليدين. وهؤلاء الذين يرتكبون جرائم القتل يتميزون بطول الفكين وبروز الوجنتين وعدم انتظام شكل الجمجمة وحدة النظرة وقسوتها.

٢- أن المجرم هو وحش بدائي تنتقل إليه عن طريق الوراثة خصائص الإنسان البدائي التي كانت لدي الأجداد القدامى والتي عادت إلي الظهور بسبب عامل الوراثة، وقد ربط لومبروزو بناء علي ذلك بين التخلف العضوي عند المجرم من ناحية وإقدامه علي الجريمة من ناحية أخري. بمعنى أن هذا النقص في التكوين الذي يشبه به الإنسان البدائي، هو الذي يخلق لديه استعدادا أو ميلا طبيعيا أو فطريا موروثا للإجرام؛ فيندفع إلى ارتكاب الجريمة رغما عنه. لذلك يرى لومبروزو ان المجرم يعيش في مجتمع غير مجتمعه، لذلك تبدو لنا تصرفاته وأعماله شاذة؛ لانه غير قادر على التكيف مع ظروف المجتمع الذي تواجد فيه[١].

٣- وأخيرا، انتهى لومبروزو من دراساته السابقة إلى أن المسئولية الجنائية لا تقوم علي حرية الاختيار – أي حرية الشخص في اختيار طريق الجريمة أو الطريق الصحيح – وإنما تقوم علي أساس الحتمية(الجبرية) لأن المجرم مدفوع للجريمة دفعا، فهو مجبر عليها،

(١) د/ ابراهيم عيد نايل، علم الإجرام طبعة دار النهضة العربية٢٠٠٨، ص ٥٣.

بحكم الخصائص العضوية التي تتوافر لديه دون غيره من غير المجرمين، لذلك رأي أن يجب عدم توقيع عقوبة علي المجرم ووجوب أن يحل محلها تدابير وقائية(احترازية) لحماية المجتمع من خطورة الجاني عليه. وخلص من ذلك إلي وجوب أن تحل الجبرية محل حرية الاختيار، وأن تحل المسئولية الاجتماعية محل المسئولية الجنائية، وأن تحل التدابير الاحترازية محل العقوبة[١].

- **تقدير نظرية لومبروزو[٢]:**

تعتبر نظرية لومبروزو واحدة من أهم النظريات التي قيل بها في مجال تفسير الظاهرة الإجرامية من الناحية التاريخية. فمن ناحية، كان لها الفضل الأول في توجيه الأنظار إلي الأسلوب العلمي في تفسير الظاهرة الإجرامية باستخدامها المنهج العلمي القائم علي المشاهدة والملاحظة. ومن ناحية ثانية، كان لها فضل لا ينكر في لفت الانتباه إلي أهمية دراسة المجرم دراسة علمية وليس فقط التركيز علي دراسة الجريمة كما كانت تفعل الدراسات السابقة علي هذه النظرية، وقد أدي ذلك إلي ظهور علم طبائع المجرم أو الأنتروبولوجي الجنائي Anthropologie criminelle ذلك العلم الذي اهتم بدراسة المجرم من جميع جوانبه.

---

(١) Gassin (R), A propos de Criminologie et science pénitentiaire de M n° 185, p.149 ، د/ بكري يوسف، المرجع السابق، ص٥١.

(٢) د/ عبد العظيم مرسي وزير، علم الإجرام وعلم العقاب، نشر دار النهضة العربية، بدون تاريخ، جـ١، علم الإجرام، ص ٧٧، د/ أحمد حسني طه، المرجع السابق، ص٧٧، د/ هدى قشقوش، المرجع السابق، ص٥٣.

كما ظهرت فكرة تصنيف المجرمين علي أساس علمي مما كان له أكبر الأثر في ظهور فكرة تفريد المعاملة الجنائية للمجرمين علي المستويين القضائي والتنفيذي.

ومن ناحية ثالثة، كان لهذه النظرية فضل كبير في ظهور فكرة التدابير الوقائية أو الاحترازية لأول مرة في الفكر الجنائي الحديث، وعلي الرغم من التطبيق غير الصحيح لهذه الفكرة من وجهة نظر المدرسة الوضعية الإيطالية، إلا أن السياسة الجنائية الحديثة قد استعملت هذه الفكرة كبديل للعقوبة بالنسبة لبعض طوائف الجناة الذين لا تجدي معهم العقوبة نفعا كطائفة المجانين ومدمني المخدرات ومعتادي الإجرام والأحداث.

وعلي الرغم من هذه الايجابيات التي ترتبت علي ظهور تلك النظرية، إلا أنها كانت محلا للعديد من الانتقادات.

الانتقادات الموجهة لنظرية لومبروزو:

تعرضت نظرية لومبروزو لعديد من الانتقادات حول صحة النتائج[١] التي توصلت إليها؛ فالقول بأن المجرم هو وحش بدائي انتقلت إليه عن طريق الوراثة خصائص الإنسان البدائي والتي عادت إلي الظهور بسبب عامل الوراثة، هو قول يفتقر إلي الصحة ولا يستند إلي أي أساس علمي. وهذه الفكرة تستند ابتداء إلى افتراض باطل من ناحية العقل والنقل، وذلك هو افتراض التطور الآدمي القائم على فكرة النشوء والارتقاء تلك الفكرة التي وصفت بأنها نظرية علمية وهي لم تزد على كونها في أحسن حالاتها – فرضا علمياً[٢]. وهي تعني أن الإنسان القديم هو إنسان متخلف عقلياً، ومتوحش سلوكياً وأنه يمثل ارتداداً إلى عصور ما قبل

(١) **كما** أُخذ على لومبروزو في منهجه، أنه لم يستعن بالمجموعة الضابطة بصورة كافية، وأخذ عليه أيضاً، قلة العينات التي كانت محل البحث والتي اعتمد عليها لومبروزو في التوصل للنتائج التي خلص إليها. إذ أن نسبة المجرمين الذين كانوا محل البحث ضئيلة جدا إذا ما قورنت بالعدد الفعلي للمجرمين. كما أن المجرمين محل البحث لا يمثلون المجرمين الفعليين تمثيلا كافيا حيث كانوا من نزلاء السجون وهم لا يمثلون سوي نسبة قليلة من المجرمين في المجتمع حيث إن نسبة كبيرة منهم لم تقع تحت طائلة القانون. وبالإضافة لذلك فإن المجرمين محل البحث كانوا من مرتكبي جرائم القتل والعنف وليست هذه هي الفئة الوحيدة التي ترتكب الجرائم فهناك مرتكبي الجرائم الجنسية وجرائم الأموال وغيرهم مما لم يتناولهم البحث. كما أخذ عليه أيضاً الانتقال من الخصوصية إلي التعميم، حيث خلص لومبروزو من دراسة الحالات الفردية القليلة إلي نتائج قام بتعميمها بوضع قانون عام يحكم الظاهرة الإجرامية ككل. في حين أن صياغة قانون عام يحكم أي ظاهرة يتطلب تعدد الحالات الجزئية وقيامها علي ذات العلة. د/ جلال ثروت، الظاهرة الإجرامية دراسة في علم الإجرام والعقاب، الإسكندرية ١٩٨٣ ص ٨٠.

(٢) من المعلوم أن هناك ثلاث مراتب في مجال البحث العلمي هي: (أ) مرتبة الفرض العلمي وهي أولى المراتب وتعني أن قضية ما قابله البحث لوجود شواهد تؤيدها. (ب) مرتبة النظرية العلمية وهي تعني أن ما كان فرضاً قد صار مؤيداً بعدد كبير من الشواهد إلى حد جعله أقرب إلى الحقيقة منه إلى الافتراض. (ج) مرتبة الحقيقة العلمية وهي تعني أن ذلك الأمر قد صار مؤكداً إذ ثبت بأنه يفسر جميع الظواهر التي يتعرض لها وأنه يصدق عليها جميعاً بلا استثناء.

التاريخ[١]. وهذا محض افتراء؛ فالعلم الحديث لم يستطع بعد أن يصل إلي رسم صورة واضحة المعالم ومؤكدة إلي ما كان عليه الإنسان البدائي، بل يمكن القول بأن الإنسان المعاصر لا يختلف عن الإنسان البدائي من حيث السمات والشكل الخارجي نظرا لانتماء كل منهما إلي ذات الجنس الواحد[٢].

وهذا ما يقرره الفكر الإسلامي فأول إنسان وجد على الأرض هو نبي الله آدم – عليه السلام– خلقه ربه ابتداء وأهبطه إلى الأرض مباشرة على هيئة سوية غاية الاستواء. قال تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [٣]. ثم أن افتراض كون الإنسان القديم قد عاش متوحشاً بربريا هو افتراض غير صحيح، لا باستناده إلى فكرة النشوء والارتقاء فحسب، وإنما بمخالفته لواقع التاريخ الإسلامي. فالتاريخ الإسلامي – كما أشار إليه القرآن الكريم– يؤكد أن الإنسان ظل تحت عناية الله ورعايته وتوجيهه منذ أن لامست قدماه هذه الأرض، وأنه لم يترك بعيداً عن التوجيه والهداية، ولم يُهمل، وذلك هو مقتضى قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى

(١) د/ حسنين عبيد، المرجع السابق، ص ٣٧، د/ عبد الأحد جمال الدين، المرجع السابق، ص ٧١٤.

(٢) Ferri (E), La sociologie criminelle, tradition française, Paris 1905. p.73.

(٣) سورة التين آية: ٤ .

فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [١]. وهذا أيضا يدحض فكرة المجرم بالميلاد [٢].

كما أنه لا يمكن الجزم بأن كل إنسان بدائي قد سلك حتما سبيل الجريمة وأن سبب إجرامه هو ملامحه وصفاته التكوينية بل أن ذلك لا يمكن تصوره عقلا.

وقد أثبت العلم الحديث عدم وجود اختلاف بين المجرمين وغير المجرمين من الناحية الجسمانية، وهو ما يهدم الأساس الذي قامت عليه هذه النظرية، وقد أثبت ذلك العالم الإنجليزي" جورنج Goring" بعد العديد من الدراسات التي أجراها علي عدة آلاف من المجرمين[٣].

كما يؤخذ علي لومبروزو الاهتمام المبالغ فيه بالخصائص الجسدية لدي المجرمين والقول بأنها هي السبب المولد للإجرام، وإهماله للعوامل الأخرى البيئية أو الاجتماعية رغم أهميتها في إحداث السلوك الإجرامي. وبيان ذلك أن العوامل الفردية هي عوامل ساكنة غير متحركة وغير قادرة علي إحداث أي نتيجة في العالم الخارجي إلا إذا ساهمت معها عوامل أخري خارجية في إحداث هذه النتيجة أي الجريمة.

وبالإضافة لذلك فإن القول بفكرة" المجرم بالميلاد"، علي الرغم من كون هذه الفكرة لا تتفق من المنطق والعقل السليم، فليس من المنطقي القول بأن الشخص الذي يولد بصفات معينة يصير مجرما بصرف النظر عن الزمان والمكان التي يعيش فيه، علي الرغم من أن الجريمة هي

(١) سورة البقرة الآية رقم ٣٨.

(٢) د/ علي حسن الشرفي، المرجع السابق، ص٤٦.

(٣) Gassin (R), Criminologie, 2003, op. cit. p. 149.

ظاهرة نسبية تختلف باختلاف الزمان والمكان، وليس أدل علي ذلك من أن ما قد يعتبر جريمة في مكان أو زمان معين قد لا يعتر كذلك في مكان أو في زمان أخر(١).

وأخيراً فإن إنكار لومبروزو لفكرة حرية الاختيار كأساس للمسئولية الجنائية والقول بحتمية الجريمة. هذا يؤدي إلي انتشار الجرائم تحت دعوى" الجبر والتسيير" وأنه ليس في الوسع تجنبها.

وهذا يخالف المنهج الإسلامي؛ حيث إن الإنسان في الإسلام، يتمتع بحرية الإرادة والاختيار؛ بدليل قوله تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ ﴾ (٢).

والإلهام يعني هنا الإلزام الفطري القائم على الفطرة والجبلة(٣).وذلك لأن الإنسان مخلوق مزدوج الطبيعة، مزدوج الاستعداد فهو في طبيعة تكوينه مخلوق من عنصرين هما: طين الأرض ونفخة الله فيه من روحه فجاء من ذلك مزودا باستعدادات متساوية للخير والشر والهدى والضلال(٤).

---

(١) د/ علي عبد القادر القهوجي، د/ فتوح الشاذلي،المرجع السابق، ص٥٧، وما بعدها.

(٢) سورة الشمس الآيات رقم ٧ ، ٨.

(٣) تفسير ابن كثير لأبي الفداء إسماعيل بن كثير، طبعة دار الفكر، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م، جـ٤، ص ٥١٧، تفسير القرآن الكريم للإمام محمد الخطيب الشربيني، الطبعة الثانية، دار المعرفة، بيروت، جـ٤، ص٥٤٢.

(٤) وقد ذكر الشيخ أبو القاسم الأصفهاني أن الإنسان مركب من نزعتين نزعة علوية تجعله شبيها بالملائكة ونزعة سفلية تجعله شبيها بالبهائم فهو وسط بين جوهرين، ومن ثم كان أهلاً للنزوع إلى أي من الاتجاهين ثم أشار إلى الحديث المروي عن رسول الله ﷺ "**إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمه فأما لمة الملك فوعد بالخير وتصديق بالحق، وأما لمة الشيطان فإيعاز بالشر وتكذيب بالحق**، ثم قرأ قول الله تعالى :" **الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء، والله** =

وذلك هو أيضاً مقتضى قول الله تعالى: ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠ ﴾ (١).

وبالإضافة إلي ذلك فإن القول بوجود مجرم بالصدفة ومجرم بالعاطفة(كما قال بهما لومبروزو عند تصنيفه للمجرمين) يدحض فكرة الحتمية لأن تحقق الصدفة أو استثارة العاطفة والذي يعد سببا للجريمة قد يتم وقد لا يتم وبالتالي فليس هناك حتمية في ارتكاب الجريمة لأن حتميتها توجب ارتكابها. كما أن القول بفكرة الحتمية ودحضها بفكرة المجرم بالصدفة أو بالميلاد يؤدي إلي تناقض الأفكار في النظرية الواحدة التي يلزم لها التجانس الفكري (٢).

=

يعدكم مغفرة منه وفضلاً" سورة البقرة الآية رقم ٢٦٨، يراجع الذريعة إلى مكارم الشريعة لأبي القاسم الراغب الأصفهاني، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م، ص ٣٠ ، ٤٦. والحديث السابق أخرجه الترمذي والنسائي وابن حبان عن ابن مسعود. أنظر، الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير للإمام "جلال الدين" عبد الرحمن السيوطي، طبعة دار القلم للتراث القاهرة، جـ١، ص ٩٧ ، تفسير ابن كثير، جـ١ ، ص ٣٢٢.

(١) سورة البلد الآية رقم ١٠. وقد قال العلماء في تفسير هذه الآية أن النجدين هما طريق الخير وطريق الشر، ثم ذكروا الحديث الذي رواه قتادة. قال ذكر لنا أن النبي ﷺ كان يقول "**أيها الناس إنما هما النجدان نجد الخير ونجد الشر فلا يكن نجد الشر أحب إليكم من نجد الخير**" أنظر، الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الكتاب العربي القاهرة ١٣٧٨هـ – ١٩٦٧م، جـ٢٠، ص ٥٦، وتفسير ابن كثير، جـ٤، ص ٥١٣. وانظر، د. علي حسن الشرفي، المرجع السابق، ص ٦٢: ٦٤.

(٢) د/ بكري يوسف، المرجع السابق، ص٥٥.

الفرع الثاني

تفسير السلوك الإجرامي في ضوء نظرية التحليل النفسي لـ سيجموند فرويد Sigmund Freud

مضمون النظرية:

تعد نظرية التحليل النفسي في تفسير الظاهرة الإجرامية من أهم وأشهر النظريات التي قيل بها في تفسير الظاهرة الإجرامية. وتنسب هذه النظرية إلي عالم النفس النمساوي الشهير" سيجموند فرويد" (١٨٥٦-١٩٣٩)، والذي يعد بمثابة مؤسس علم النفس الحديث، حيث ابتكر هذا العالم أسلوب التحليل النفسي وذلك بالدخول إلي عالم النفس البشرية والغوص في أغوارها لكشف أسرارها ومعرفة أسباب إجرامها. واستخدم فرويد منهجاً شخصيا يرتكز علي التحليل النفسي في تفسير السلوك الإجرامي ويرده إلي عوامل نفسية بحتة.

- **مكونات النفس البشرية عند فرويد:**

تنقسم النفس البشرية عند فرويد إلى ثلاثة أقسام كالتالي [١]:

القسم الأول: الذات الدنيا أو النفس ذات الشهوة:

ويطلق فرويد علي هذه القسم كلمة" Id" وهي كلمة لاتينية معناها " هو". ويحتوي هذا القسم من النفس البشرية علي الميول الفطرية والغرائز الموروثة. وهذه النفس تسعى دائما وأبدا إلي إشباع الشهوات والرغبات دون الاعتداد بأي قيم أو أخلاق أو آداب تسود المجتمع الذي تعيش فيه حتى يطغي عليها في النهاية وصف" الباحثة عن اللذة".

(١) د/ عبد العظيم مرسي وزير، المرجع السابق، ص٨٦ وما بعدها، د/ علي عبد القادر القهوجي، د/ فتوح الشاذلي، المرجع السابق، ص٧٣ وما بعدها.

والشخص الذي يريد أن يحيا في المجتمع حياة سوية عليه أن يسلك أحد طريقين: الأول: كبت الرغبات والميول التي تدفعه إلي إشباعها النفس ذات الشهوة. الثاني: إشباع هذه الرغبات من خلال الطرق المشروعة في المجتمع كالزواج للتعبير عن الرغبة الجنسية والشراء أو الهبة أو الإرث للتعبير عن غريزة حب التملك... وهكذا.

القسم الثاني: الذات الشعورية أو الحسية أو العقل:

ويطلق فرويد علي هذا القسم من النفس البشرية كلمة" Ego" وهي كلمة لاتينية معناها " الأنا". ويتألف هذا القسم من مجموعة من الملكات العقلية المستمدة من رغبات النفس ذات الشهوة ولكن بعد تهذيبها بما يتفق مع متطلبات الحياة الخارجية[١] ومن وظائف هذا القسم من النفس البشرية نبذ مبدأ البحث عن اللذة، ومحاولة إقامة نوع من التوازن بين النزعات الفطرية الغريزية من ناحية والقيم والعادات والتقاليد السائدة في المجتمع من ناحية أخري. فتقوم بكبح جماح الشهوة وتحويلها من شهوة غريزية إلي شهوة عقلانية يتم التعبير عنها من خلال القنوات الشرعية في المجتمع وبما

لا يتعارض مع ما تأمر به " الأنا العليا". وهذا القسم من النفس دائما تتنازعه الضغوط: فيقع تحت ضغط" النفس ذات الشهوة" لإشباع رغباتها بأي وسيلة من ناحية، ويقع تحت ضغط" الأنا العليا" للقيام بوظيفية في كبح جماح الشهوات والغرائز من ناحية ثانية، ويقع تحت ضغط البيئية والمجتمع للمحافظة علي القيم والأخلاق من ناحية ثالثة[٢].

(١) د/ يسر أنور علي ، د/ آمال عثمان، المرجع السابق ص ١٣٥.

(٢) المستشار محمد فتحي، علم النفس الجنائي، جـ١، الطبعة الثالثة، ١٩٥٨ ص ٩١-٩٢.

القسم الثالث: الذات المثالية أو الضمير:

ويطلق فرويد علي هذا القسم من النفس البشرية كلمة" Super–Ege" وهي كلمة لاتينية معناها" الأنا العليا". ويشمل هذا القسم مجموعة المثل والقيم الأخلاقية الموروثة عن الأجيال السابقة كالآباء والأجداد، ويشمل أيضا مجموعة القيم والمثل المكتسبة من البيئة الاجتماعية المعاصرة. والأنا العليا تمثل الجانب الأدبي والمظهر الروحاني السامي للطبيعة البشرية، وتنطوي علي كل ما ينتظر أن تنطوي عليه أرقي طباع البشر.

وتظهر قيمة الأنا العليا في أنها تعتبر مصدر الردع الحقيقي للذات الدنيا إذ أنها تمد" الأنا" بالقوة اللازمة لردع" الذات الدنيا " وكبح جماح الشهوة. كما تقوم" الأنا العليا" بدور الرقيب علي" الأنا" فتحاسبها علي أي تقصير في أداء وظيفتها، فهي كما يقول فرويد بمثابة" صوت الضمير"[١] والذي كثيرا ما يكون قاسيا في حكمه علي الأنا ويعاملها بقسوة وبلا شفقة أو رحمة.

ويري فرويد أن السلوك الإنساني بصفة عامة يتوقف علي مدي العلاقة بين الأقسام الثلاثة السابق بيانها للنفس الإنسانية، فإذا تغلبت النفس ذات الشهوة بما تتطلبه من إشباع للشهوات والغرائز والميول الفطرية انحرف السلوك الإنساني وأصبحت شخصية صاحبة شخصية غير ناضجة وغير سوية، أما إذا تغلبت الأنا العليا أو الذات المثالية بما تفرضه من مثل وقيم موروثة ومكتسبة وتحكم الضمير والعقل في سلوك

(١) د/ يسر أنور علي، د/ آمال عثمان، المرجع السابق، ص١٣٦، المستشار محمد فتحي، المرجع السابق، ص٩٥ وما بعدها.

الفرد وقامت الأنا بوظيفتها في كبح جماح الذات الدنيا كان السلوك الإنساني سلوكا قويما وأصبحت شخصية صاحبه ناضجة وسوية.

- **تفسير السلوك الإجرامي عند فرويد:**

يُرجع فرويد السلوك الإجرامي إلي أحد أمرين[1]:

الأول: تغلب النفس ذات الشهوة علي الأنا بسبب غياب الأنا العليا أو عجزها عن القيام بوظيفتها في الرقابة والردع.

الثاني: كبت الأنا للميول الفطرية والنزعات الغريزية" للذات الدنيا" وإخمادها في اللاشعور وما يترتب علي ذلك من تكون لعقد نفسية وأمراض متعددة. وفي الحالتين فإن النتيجة واحدة وحتمية وهي انطلاق النزعات والميول والشهوات من قيودها والبحث عن وسيلة إشباع. وقد يؤدي ذلك إلي اضطراب في التوازن النفسي للفرد مما قد يدفعه إلي سبيل الجريمة.

وبيان ذلك أنه، **من ناحية:** يلزم للإنسان السوي وجود أنا وأنا عليا علي نحو سليم، بحيث يقوم كل منهما بإقامة نوع من التوازن أو التوفيق بين متطلبات الذات الدنيا في الشهوة والميول والغرائز وبين أوامر الأنا العليا ونواهيها بالإضافة إلي مقتضيات المجتمع الخارجي من ناحية أخري. ولتحقيق ذلك تقوم الأنا بعملية تحويل للرغبات والميول والشهوات إلي صور نشاط عقلي أو معنوي يتم التعبير عنها من خلال القنوات الشرعية في المجتمع، فبدلا من اتجاه الفرد إلي إشباع الغريزة الجنسية عن طريق الزنا الذي ترفضه الأنا العليا والمجتمع، تحول الأنا هذه الغريزة إلي صورة نشاط عقلي أو معنوي يتم إفراغه في شكل مباشر يتقبله المجتمع

(١) د/ أحمد حسني طه، المرجع السابق، ص٨٥، د/ هدى قشقوش، المرجع السابق، ص٦٩، ٧٠.

في صورة الزواج أو بشكل غير مباشر كالأحلام والتخيل مثلا وذلك تفاديا للوم الاجتماعي. فإذا ما عجزت الأنا أو الأنا العليا في القيام بأداء وظائفهما علي هذا النحو السليم إما لغياب الأنا العليا أو عجزها عن القيام بوظيفتها في الرقابة والردع(والذي قد يحدث لأسباب مختلفة كغياب المثل وانحلال الأسرة أو المجتمع... الخ) وقع الإنسان تحت ضغط الاضطراب النفسي وعدم الاتزان مما قد يدفعه إلي سبيل الجريمة.

ومن ناحية أخري، إذا لم تستطع الأنا تكييف الميول الفطرية والنزعات الغريزية والشهوات بما يتفق مع مقتضيات وقوانين المجتمع مع وجود الأنا العليا وعدم عجزها فإن الأنا تعمل علي كبت هذه الشهوات والميول وإخمادها في اللاشعور حتى لا تخرج إلي العالم الخارجي. إلا أن هذا الكبت يجب أن يتم بصورة صحيحة وتدريجية وإلا ترتب عليه مجموعة من العقد النفسية والأمراض التي قد تؤدي إلي الجريمة.

والصورة الصحيحة لكبت الميول والرغبات تتم بوجود شخصية سوية تتكيف بصورة اجتماعية سليمة مع البيئة المحيطة، ويتم ذلك منذ البدايات الأولي للإنسان.

فالطفل، كما يلاحظ فرويد، يبدأ بإعلان رغبته في الحصول علي الأشياء بالبكاء حتى يحصل عليها أو تنهك قواه دونها فيكف عن المطالبة يأسا، وكلما كبر الطفل أدرك تدريجيا أنه ليس في الإمكان إشباع كل رغباته لاسيما وأن الآخرين بدورهم يزاحمونه لتحقيق مطالبهم، وهكذا يصل الطفل بعد فترة معينة إلي اقتناع تام بأنه لا مفر من تقبل قيود علي إشباع رغباته، وكلما كبر الطفل أدرك ضرورة إرجاء إشباع جزء من رغباته في سبيل الإعداد لحياته المستقبلة.

ويحدث التطور في هذا الشأن علي نحو سليم كلما كان الأبوان علي قدر من التفهم والنضج، أما إذا كان سلوكهما مع الطفل يتسم

بالعنف والقسوة غير المبررة أدي ذلك إلي إصابته بصدمة تؤدي به إلي الإصابة بالأمراض والعقد النفسية التي تظل كامنة في اللاشعور والتي قد تودي به عند ظهورها بعد ذلك إلي سبيل الجريمة.

- **تقدير نظرية فرويد**[١]:

كان لهذه النظرية الفضل الكبير في إخضاع السلوك الإنساني بصفة عامة والسلوك الإجرامي بصفة خاصة للتحليل النفسي، مما أظهر العديد من الحقائق التي كانت خافية عن أنظار العديد من الباحثين، وبصفة خاصة ما يتعلق بأثر الجانب اللاشعوري من النفس البشرية أو العقل الباطن في دفع الفرد إلي الجريمة مما كان له فائدة لا تنكر في علاج بعض طوائف المجرمين[٢].

كما أنه لاشك أن لدى الإنسان ميلاً نحو الإشباع المفرط للمطالب الغريزية الفطرية، ولا شك أن للعقل والضمير دوراً بارزاً في تحقيق الاعتدال، كما أنه مما لا شك فيه أن للانفعالات والعواطف – وهي أمور طارئة ذات أصول ثابتة في النفس – دوراً بارزاً في إضعاف قوتي العقل والضمير، وذلك لما تحدثه من خلل في التوازن الطبيعي القائم في الجسم [٣].

وعلي الرغم من ذلك يؤخذ علي هذه النظرية مجموعة من المأخذ والانتقادات، تتمثل في أنها لم تقدم لنا نظرية عامة يمكن الاعتماد عليها في تفسير السلوك الإجرامي بجميع صورة وأشكاله المختلفة، وإنما هي مجرد تأصيل للدراسات النفسية التي كانت موجودة وقت القول بها،

(١) د/ عبد العظيم مرسي وزير، المرجع السابق، ص٩٣ وما بعدها، د/ هدى قشقوش، المرجع السابق، ص٧١ وما بعدها، د/ بكري يوسف، المرجع السابق، ص٦٩.

(٢) Stefani, Levasseur, et Jambu-Merlin, Criminologie et science pénitentiaire, p.183.

(٣) د/علي حسن الشرقي، المرجع السابق، ص٥١.

بالإضافة إلي أن التحليل النفسي يرتبط بالحالة الفردية للخاضع له وهو ما يختلف من شخص لأخر بما يصعب معه صياغة نظرية عامة تصدق في جميع الحالات.

كما أنها حصرت أسباب الظاهرة الإجرامية في سبب واحد " الخلل والاضطراب النفسي"، فهي قد وقعت في ذات الخطأ الذي وقعت فيه المدرسة العضوية، ولم تختلف عنها إلا في إحلال المرض النفسي محل التكوين العضوي الداخلي أو الخارجي(١). بالإضافة إلي ذلك فإنه لا يمكن التسليم بأن السلوك الإجرامي في جميع صوره ناتج عن ضعف أو عجز في الأنا العليا نظرا لأن بعض الجرائم لا يمكن أن تنتج عن خلل أو عجز في الأنا العليا كالجرائم العاطفية، لأن عجز الأنا العليا أو تخلفها يعني انعدام المثل والقيم أي انعدام الأحاسيس والعواطف وهذا ما يتنافى مع الباعث علي الجريمة العاطفية المتمثل في" العاطفة" كالغيرة والحماس.

وحتى مع التسليم بأن سبب الجريمة هو الخلل والاضطراب النفسي، فإن هذه يعني أن المجرم هو شخص مريض يستحق العلاج وليس مجرم يستحق العقاب، ولا يخفي ما في ذلك من التضحية بأغراض العقوبة في تحقيق العدالة والردع العام(٢). بالإضافة إلي ذلك، فإنه لو صح منطق هذه النظرية لكان وجود الخلل النفسي يؤدي حتما إلي الجريمة، إلا أن ذلك غير صحيح فكثير من المجرمين غير مصاب بالخلل أو المرض النفسي، وكثير من غير المجرمين مصاب بهذا أو ذاك ولا يقوده ذلك إلي الإجرام(٣).

(١) د/ علي عبد القادر القهوجي، د/ فتوح الشاذلي، المرجع السابق، ص ٧٥.

(٢) د/ مأمون سلامة، المرجع السابق، ص ١٦٤.

(٣) د/ يسر أنور علي ود/ آمال عثمان، المرجع السابق ص ١٥٦، د/ بكري يوسف، المرجع السابق، ص٧٠.

وتجدر الإشارة إلي أن كل ما ذكره فرويد فيما سبق قد سبقه إليه علماء المسلمين فقد ذهبوا إلى أن الله سبحانه وتعالى قد خلق في الإنسان قوتين هما قوة النفس وقوة العقل(١). ويتوقف نشاط النفس وقدرتها في استهواء الإنسان على مدي استعداد الشخص بالتأثر، وما يتمتع به العقل من قوة، وما يجد لدى صاحبه من احترام وتقدير، فالحكيم هو الذي يجعل لعقله سلطانا على نفسه، ولا يكون عنده العكس ممكنا، والجاهل الأحمق هو الذي يطلق لنفسه العنان بحيث إذا سمع نداءها انبعث على الفور في خدمته وإحضار شهوته(٢) فيكون ذلك منزلقاً إلى ميدان الجريمة(٣).

فالمنهج الإسلامي يجعل الخلل النفسي وعدم سيطرت العقل والضمير علي شهوات النفس –الأمارة بالسوء – أساساً وسبباً للسلوك الإجرامي إلا أنها لم تهمل العوامل الخارجية بل تعتبرها مغلبة لإحدى القوى –قوى الخير وقوي الشر – على الأخرى. وبذلك تفادت النقد الموجه لنظرية فرويد(٤)

(١) يقول الإمام الدهلوي – في كتابه حجة الله البالغة: " أن في الإنسان ثلاث لطائف هي العقل والقلب والنفس، فالعقل هو الشيء الذي يدرك بالحواس، ومن صفاته وأفعاله اليقين والشك والتفكير، وأما القلب فهو الذي به يحب الإنسان ويبغض، وأما النفس فهي الشيء الذي به يشتهي الإنسان ما يستلذه من المطاعم والمشارب والمناكح، ومن صفاتها: الشره والشبق، ونحو ذلك". أنظر، كتاب حجة الله البالغة للإمام أحمد بن عبد الرحمن الدهلوي، دار المعرفة، بيروت، ج٢، ص ٨٨، ٨٩.

(٢) إحياء علوم الدين للإمام ابي حامد الغزالي، دار المعرفة، بيروت ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣م ، ج٣، ص ١١.

(٣) وفي هذا المعنى ذكر الإمام السخاوي قول: "**أصل كل داء الرضا عن النفس**" ونسبه إلى كلام السلف، ومثله ما ورد على لسان القشيري "**آفة العبد رضاه عن نفسه بما هو فيه**" ومثله قول: ذي النون "**علامة الإصابة مخالفة النفس والهوى**" ثم ذكر حديث محمد بن المنكدر عن جابر مرفوعا "**أخوف ما أخاف على أمتي إتباع الهوى**". رواه البيهقي في شعب الإيمان حديث ٩٩١٠. وانظر، كتاب المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة للإمام شمس الدين السخاوي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٣٩٩ هـ– ١٩٧٩م، ص ٦٢، د/ علي حسن الشرفي، المرجع السابق، ص٤٦.

(٤) انظر ذلك تفصيلاً فيما بعد عند حديثنا عن التفسير الإسلامي للسلوك الإجرامي.

المطلب الثاني

تفسير السلوك الإجرامي في ضوء الاتجاه الاجتماعي

تمهيد وتقسيم:

تحدثنا في المطلب السابق عن الاتجاه الفردي لتفسير الظاهرة الإجرامية، وهو اتجاه يتناول هذه الظاهرة بالدراسة باعتبارها سلوكا فرديا يصدر عن الجاني، أي أنه يرجع الجريمة إلى أسباب وعوامل تتعلق بالجاني وتكمن داخله. مركزا تارة على تكوينه العضوي والنفسي، وتارة على تكوينه النفسي فقط.

وفي هذا المطلب نتحدث عن الاتجاه ألاجتماعي، وهو يُرجع أسباب الجريمة إلى الظروف المحيطة بالفرد في بيئته ألاجتماعية سواء في ذلك الظروف ألطبيعية أو ألاقتصادية أو الاجتماعية(١).

ويتضمن هذا الاتجاه عدد من المدارس أهمها: المدرسة الجغرافية، والمدرسة الاجتماعية. وسنتناولهما في الفرعين التاليين:

الفرع الأول

المدرسة الجغرافية أو مدرسة الخرائط

وتسمى أيضاً المدرسة الاجتماعية الفرنسية البلجيكية وقد قامت هذه المدرسة على أعمال كل من جيري Guerry في فرنسا وكتيليه Quételet في بلجيكا. وسميت بالمدرسة الجغرافية أو مدرسة الخرائط لمحاولتها الربط بين الظاهرة الإجرامية والبيئة الجغرافية كالتقلبات الطقس وفصول السنة المختلفة والتوزيع الجغرافي للسكان.

(١) د/ عبد العظيم مرسي وزير، المرجع السابق، ص٩٨، د/ بكري يوسف، المرجع السابق، ص٧٤.

ويري أنصار هذه النظرية أن البيئة الجغرافية كما تؤثر علي الجو الاجتماعي من عادات وتقاليد وثقافة واقتصاد وسياسة، قد تؤثر أيضا علي الجو الفردي أي السلوك الفردي. وكما تؤثر علي سلوك المجتمع تجاه الفرد تؤثر علي سلوك الفرد تجاه المجتمع. فمثلا موقع المكان وطبيعته، وما إذا كان سهلي أم جبلي، ساحلي أم بعيد عن الساحل، خصب أو جدب، بارد أم حار. كل ذلك يؤثر في سلوك الفرد وتكوين شخصيته بوجه عام، فالشخص الذي يسكن الوادي له طبيعة تختلف عن من يسكن الجبل، ومن يعيش في جو حار تختلف طباعه عن من يعيش في جو بارد، ومن يعيش في مكان خصب تختلف طباعه عن من يعيش في مكان جدب.

وقد قام جيري، بدراسة الإحصاءات الجنائية التي صدرت في فرنسا عام ١٩٢٧، وخلص إلى وجود علاقة واضحة بين البيئة الجغرافية، والتي تتمثل في: الموقع الجغرافي، وتعاقب الليل والنهار، وتعاقب فصول السنة، واختلاف درجة الحرارة، من ناحية والإجرام من ناحية أخرى. كما خلص إلى وجود علاقة بين الخريطة الإجرامية في فرنسا وبين الكثافة السكانية والأوضاع السياسية والاقتصادية السائدة في فرنسا، ولاحظ ارتفاع نسبة جرائم الدم في جنوب فرنسا، وارتفاع نسبة جرائم الأموال في شمالها.

ولقد تحدث العلماء المسلمون عن هذه النظرية منذ زمن بعيد، وأول من أشار لذلك كان إخوان الصفا وخلان الوفا[١]؛ حيث جاء في رسائلهم تحت عنوان: تأثير طبيعة البلدان في الأخلاق : " إن تراب المدن والقرى يختلف ،

(١) وهم: جماعة من الفلاسفة المسلمين، ويقال أنهم من المعتزلة، عاشوا بالبصرة في القرن الثالث الهجري، عملوا على التوفيق بين العقائد الإسلامية والحقائق الفلسفية.

وأهويتها تتغير من جهات عدة ... " إلى أن يقولون " وهذه كلها تؤدي إلى اختلاف أمزجة الأخلاط واختلاف أمزجة الأخلاط يؤدي إلى اختلاف أخلاق أهلها وطباعهم وقواهم وعاداتهم وآرائهم ... لا يشبه بعضها بعضاً" (١).

وحدد ابن خلدون تأثير العوامل الجغرافية في طبيعة الفرد بشكل أدق عندما تكلم عن سكان المناطق المعتدلة طبيعة ومناخاً بأن " سكانها من البشر أعدل إحساساً وألواناً وأخلاقاً وأدياناً ... أما الأقاليم البعيدة عن الاعتدال فأهلها أبعد عن الاعتدال في جميع أحوالهم ، وأخلاقهم"(٢).

- **تقدير المدرسة الجغرافية:**

كان للمدرسة الجغرافية الفضل في إبراز العلاقة بين الظواهر الطبيعية المختلفة بصفة عامة والطقس بصفة خاصة وبين الجريمة. (٣).

ومع ذلك فهي لم تسلم من النقد؛ فيؤخذ علي هذه النظرية، أن هذه المدرسة بقوانينها المختلفة لم تفسر لنا سوي جانب من الظاهرة الإجرامية، وهو الخاص بجرائم الأشخاص والأموال دون غيرها من الجرائم، كالجرائم التجسس والجرائم السياسية والإجهاض (٤).

---

(١) رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا : عني بتصحيحها خير الدين الزركلي – المكتبة التجارية – مكتبة القاهرة الحديثة للطباعة – القاهرة ١٩٧٢ ، ص ١٨ – ١٩.

(٢) ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد : مقدمة ابن خلدون – المطبعة البهية المصرية ، القاهرة ص ٧١، ٧٥، د/ محمود الحاج قاسم محمد ،نظريات ودوافع السلوك الإجرامي في التراث العربي الإسلامي ووسائل الوقاية منه، بحث منشور على موقع: http://www.baytalmosul.com

(٣) ففي مصر أظهرت إحصاءات الأمن العام عام ١٩٧١ أن اعلي معدلات جرائم القتل والضرب المفضي إلى الوفاة كانت في شهر أغسطس، وأن أعلي معدلات جرائم السرقة كانت في شهر يناير.

(٤) د/ عوض محمد عوض، مبادئ علم الإجرام، الإسكندرية، منشأة المعارف ١٩٧٣ ص ٩٨، د/ عبد العظيم مرسي وزير، المرجع السابق، ص٩٧.

الفرع الثاني
المدرســة الاجتماعــية

من أهم النظريات الاجتماعية، التي قيل بها لتفسير السلوك الإجرامي ورده إلى عوامل اجتماعية: نظرية صراع الثقافات ونظرية التفكك الاجتماعي لعالم الاجتماع الأمريكي" سيلين"، ونظرية المخالطة المتفاوتة لعالم الاجتماع والإجرام الأمريكي"سذرلاند".

أولاً: نظرية صراع الثقافات لـ" تورستين سيلين Thorsten Sellin

تقوم هذه النظرية على فكرة مؤداها أن السلوك الإجرامي يكون نتيجة حتمية، لتصارع وتضارب الثقافات والمبادئ والقيم التي تسود لدي إحدى الجماعات، مع ثقافات وقيم تسود لدى جماعة أخرى في المجتمع؛ فالقانون الجنائي السائد في مجتمع معين هو الذي يمثل الثقافة العامة لهذا المجتمع، إذ أنه يمثل مجموعة القواعد التي فرضتها الجماعة العامة لحماية قيمها ومصالحها ضد من يعتدي علي هذه الجماعة أو الخروج عليها عن طريق ارتكاب الجرائم.

وبالمقابل للقواعد التي يفرضها القانون الجنائي هناك مجموعة من القواعد التي تفرضها الجماعة التي ينتمي إليها الفرد(كجماعة الأسرة أو العائلة وجماعة الأصدقاء وجماعة المدرسة... الخ) والتي تمثل بالنسبة لها ثقافة خاصة يجب علي الفرد احترامها وعدم الخروج عليها.

وينشأ الصراع بين الثقافات المختلفة عندما تصطدم القيم الأخلاقية والاجتماعية السائدة في الجماعات الخاصة، بقواعد القانون الجنائي الذي يمثل الثقافة العامة في المجتمع ككل[1].

---

(٢) Sillen (TH), Conflit culturels et criminalité, Conférences Faites de l'université libre de Bruxelles les 23 et 24 mars 1960; Szabo (D), Déviance et Criminalité, textes – ed. Armand ollin – paris 1970 ، د/ علي عبد القادر القهوجي، د/ فتوح الشاذلي، المرجع السابق، ص ٩١ وما بعدها.

مثال ذلك: أن يجرم القانون الجنائي القتل وتعتبره الجماعة أمرا مشرفا وردا لهيبتها في المجتمع، كما هو الحال في عادة الأخذ بالثأر أو القتل دفاعا عن الشرف(١).

- **تقدير نظرية صراع الثقافات:**

مما لا شك فيه أن الفضل يرجع لهذه النظرية في الكشف عن مشكلة الصراع الثقافي الذي يعد أمرا واقعا وسببا من أسباب الإجرام سواء داخل المجتمع الواحد أو بين المجتمعات المتعددة.

إلا أنه علي الرغم من ذلك فإن هذه النظرية لم تقدم لما تفسيرا متكاملا للظاهرة الإجرامية من جميع جوانبها، وإنما قامت بالتركيز علي جانب الصراع الثقافي فقط دون غيره من جوانب الظاهرة الأخرى كالجانب الفردي، العضوي والنفسي، والذي لا شك في أن له دورا كبيرا في حدوث تلك الظاهرة. بالإضافة إلي أنه حتى في إطار الصراع الثقافي نفسه لم تفسر لنا هذه النظرية لماذا يقدم بعض من يوجدون داخل هذا الصراع علي الجريمة بينما لا يقدم البعض الآخر عليها علي الرغم من توافر ذات المؤثرات والصراعات الثقافية، فمثلا في عادة " الأخذ بالثأر" قد يقدم بعض الأفراد علي الجريمة بينما قد لا يقدم أخاه عليها علي الرغم من تواجدهم داخل ذات الصراع الثقافي(٢).

(١) د/ بكري يوسف، المرجع السابق، ص٨٣.

(٢) د/ عبد العظيم مرسي وزير، المرجع السابق، ص١٠٨، د/ أحمد حسني طه، المرجع السابق، ص٩٧.

ثانياً: نظرية التفكك الاجتماعي لـ" تورستين سيلين Thorsten Sellin

تقوم هذه النظرية على فكرة مؤداها أن التفكك الاجتماعي يلعب دورا كبيرا في ازدياد حجم الظاهرة الإجرامية وهي متوافقة مع نظرية تصارع الثقافات السابقة.

وهنا يحاول سيلين أن يعطي تفسيرا لنظريته: على أساس التفرقة بين المجتمعات البدائية والمجتمعات المتحضرة، والمقارنة بينها من حيث وضع الفرد في كل منها وتأثره بما يسودها من ظروف ومؤثرات.

ففي المجتمعات البدائية، ومثلها المجتمعات الريفية. يسود التعاون والتكافل العلاقات بين الأفراد، حيث يشعر كل منهم أنه يعيش بين أهله وذويه. لذلك فإن احتياجات الفرد وتطلعاته وطموحاته تكون قليلة ومحدودة، لأن المؤثرات التي تحيط به تتميز بقدر من التناسب والثبات والانتظام. ويرجع ذلك إلى أن جميع أفراد الجماعة يعيشون ويعملون داخلها وفقاً لتقاليد وعادات متشابهة ومتقاربة. ويؤدي كل ذلك في النهاية إلى أن يشعر كل فرد في الجماعة بالاطمئنان والأمان على حاضرة ومستقبله، حتى في حالات الكوارث أو المرض أو العجز أو الشيخوخة.

وغالباً ما كانت كل جماعة من جماعات المجتمعات البدائية تعيش في حالة اكتفاء ذاتي يغنيها عن الاتصال بغيرها من الجماعات. ذلك أنه يسبب روح التعاون الكامل والتام التي كانت تسود العلاقات بين أفراد كل جماعة لم يكن هناك حاجة للاتصال بجماعة أخرى أو الالتجاء إليها لسد حاجة أفرادها.

وفي ظل هذه الظروف فإن الفرد لم يكن في حاجة إلى إتيان سلوك إجرامي يتعارض مع سلوك مشروع لفرد آخر ينتمي إلى ذات الجماعة

أو يتنافى مع أهداف هذه الأخيرة. فالشعور بالأمان والاطمئنان كان يحول دون ظهور الفردية أو الأنانية لدى الأفراد.

على أن ذلك لا يعني أن هذه المجتمعات كانت مجتمعات مثالية لا تعرف الجريمة سبيلاً لها. بل على العكس من ذلك كانت هناك بعض الجرائم التي تُرتكب داخلها. غاية ما في الأمر أن هذه الجرائم لم تكن تُرتكب من فرد على آخر من ذات الجماعة. ولكن إما من أفراد خارج الجماعة ضد أفراد هذه الأخيرة أو ضدها ذاتها وإما من أحد أفراد الجماعة ضد أفراد ينتمون إلى جماعات أخرى أو ضد هذه الجماعات ذاتها.

أما المجتمعات المتحضرة فإنها تفقد الترابط والانسجام، حيث تتعدد فيها وتزداد احتياجات الأفراد وتكبر طموحاتهم وتطلعاتهم. ومع ذلك يتعذر عليهم إشباعها أو تحقيقها نظراً لظروفهم وإمكانياتهم المحدودة. كما لا يتوافر لدى الفرد الشعور بالأمان والاطمئنان على مستقبله، ويرجع ذلك إلى تعدد وتبيان أساليب وأنماط السلوك في المجتمع المتحضر لاتساع نطاقه وتعدد جماعاته أو طوائفه. وكل ذلك يؤدي إلى تضارب المصالح وازدياد الصراع بينها أو بالأدق بين أصحابها سواء في ذلك داخل الجماعات التي ينتمي إليها الفرد أو خارجها.

وكنتيجة طبيعية للتضارب بين المصالح والصراع الذي يتولد عن ذلك في المجتمع المتحضر يؤكد سيليين أن سلوك الفرد في هذا المجتمع لن يكون على نمط واحد. كما لا يمكن توقع أنماط السلوك التي يمكن أن يرتكبها الشخص في المستقبل.

كما يضيف سيليين أنه كلما ازدادت المجتمعات تقدماً فإن ذلك يستتبع ازدياد احتمال التنافر والتناقض بين القواعد والمعايير السلوكية التي تحكم سلوكه وتصرفاته. فقد تقتضي قواعد ومعايير السلوك في

جماعة معينة بإتباع تصرف معين في حين تقضي قواعد السلوك السائدة في جماعة أخرى. ينتمي إليها أيضاً ذات الفرد. بضرورة اتباع سلوك معارض.

وهكذا يقرر سيليين أن عملية التفكك الاجتماعي المتمثل في تصارع المصالح والقيم. الذي يرجع إلى انعدام الترابط والتناسق والانسجام بين أفراد المجتمع، هي السبب الحقيقي الذي يكمن خلف ازدياد حجم الظاهرة الإجرامية في المجتمعات الحديثة المتقدمة حضارياً. فطبيعة التنظيم الاجتماعي في هذه المجتمعات قد تؤدي إلى أن يجد الفرد نفسه منتمياً إلى إحدى الوحدات الاجتماعية التي يعتبر السلوك الإجرامي بين أفرادها سلوكاً عادياً ومألوفاً فيندفع إلى ارتكابه لتأثره بقواعد ومعايير وأساليب السلوك السائدة في هذه الجماعة(١).

- **تقدير نظرية التفكك الاجتماعي:**

إن نظرية التفكك الاجتماعي كما قال بها سيليين تساعد بلا شك على تفهم بعض عوامل الظاهرة الإجرامية، سواء بالنسبة للفرد أم داخل المجتمع. فقد أكد عدد كبير من الباحثين في مجال علم الإجرام أن التفكك الاجتماعي يعد من العوامل الهامة للسلوك الإجرامي. ففي خلال الاضطرابات الداخلية أو الحروب وما يصاحبها من أزمات اقتصادية تظهر في المجتمعات بعض صور للإجرام لم تكن موجودة من قبل.

كما تزداد في هذه الفترات أيضاً نسبة بعض الجرائم. فتشير الإحصائيات الجنائية إلى أن جرائم الغش التجاري والصناعي والاحتيال والسرقة التي غالباً ما تتخذ صورة السطو المسلح تتفاقم أعدادها خلال هذه

(١) د/ ابراهيم عيد نايل، المرجع السابق، ص٨٢ ومابعدها.

الظروف. هذا فضلاً عن جرائم التموين ومخالفة قوانين التسعيرة الجبرية وجرائم السوق السوداء بمختلف أنواعها.

ونظراً لأهمية التفكك الاجتماعي، كعامل من عوامل السلوك الإجرامي، فإن المؤتمر الثاني للأمم المتحدة في مجال مكافحة الجريمة، والذي عقد في لندن سنة ١٩٦٠ قد تم تخصيصه لدراسة وسائل قمع أشكال الإجرام الناشئة عن التغير الاجتماعي المرافق للتقدم الاقتصادي في الدول النامية.

وبالرغم من ذلك فإن هذه النظرية يؤخذ عليها أنها حاولت أن تجعل من التفكك الاجتماعي العامل الوحيد للظاهرة الإجرامية سواء بالنسبة للفرد أم داخل المجتمع، متجاهلة بذلك أثر العوامل الفردية، بل ودور العوامل الخارجية أو البيئية الأخرى: اجتماعية كانت أم ثقافية أم اقتصادية أم طبيعية [١].

وتجدر الإشارة إلى أن التفكك الذي قال به "سيليين" لا يجد له أصل في شريعة الإسلام؛ ذلك أنها تدعوا إلى التعاون والتآخي والتكافل بين أفراد المجتمع في الحضر وفي البدو، في المدينة وفي القرية. ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ ... وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝٢ ﴾[٢]. وقول الرسول ﷺ "مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ ، مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى" [٣].

(١) د/ احمد حسني طه، المرجع السابق، ص٩٤، د/ ابراهيم عيد نايل، المرجع السابق، ص٨٤، ٨٥.

(٢) سورة المائدة آية: ٢ .

(٣) أخرجه مسلم في البر والصلة والآداب باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم رقم ٢٥٨٦ ومعنى تراحمهم: رحمة بعضهم بعضا. وتوادهم: تحابهم. وتعاطفهم: تعاونهم والجسد: الجسم الواحد بالنسبة إلى جميع أعضائه. واشتكى عضوا: لمرض أصابه. وتداعى: شاركه فيما هو فيه. والسهر: عدم النوم بسبب الألم والحمى: حرارة البدن وألمه.

وقول الرسول ﷺ " السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ ، كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ" (١).

وبذلك يمكن تفادي ما وجه إلى هذه النظرية من مآخذ، ونرجوا الله تعالي أن يجعل المجتمع المسلم متماسكاً ومتعاوناَ تنفيذا لشرع الله تعالى.

ثالثاً: نظرية المخالطة الفارقة لـ سذرلاند Sutherland:

تنسب نظرية المخالطة الفارقة (٢) إلى عالم الاجتماع والإجرام الأمريكي الشهير" سذرلاند" ، والذي قام بصياغة هذه النظرية سنة ١٩٣٩ في مؤلفه" مبادئ علم الإجرام". وتعد هذه النظرية إحدى تطبيقات نظرية صراع الثقافات، إلا أنها تمثل الفكر الأمريكي المعاصر في تفسير السلوك الإجرامي.

وتقوم هذه النظرية علي عدة أفكار أساسية وهي: أن الجريمة ظاهرة اجتماعية وليست فردية. وأن السلوك الإجرامي هو سلوك مكتسب بالتعليم من البيئة المحيطة بالفرد وليست سلوكا مورثا. وأن كل فرد ما هو إلا انعكاس للثقافة المحيطة به والتي تسود في مجتمعه.

فالفرد يكتسب النشاط الإجرامي عن طريق مخالطته للآخرين. فقد يختلط بجماعة صالحة يكتسب منها السلوك السوي الذي يتفق مع النظم الاجتماعية والقواعد القانونية، وقد يختلط بجماعة طالحة لا تحترم النظم

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري: حديث رقم: ٥٠٣٨، ومسلم: حديث رقم: ٢٩٨٢.

(٢) ويسميها البعض بالمخالطة المتفاوتة. د/ عبد الفتاح الصيفي، علم الإجرام، طبعة بيروت، ١٩٧٣، ص ٢٦٠، د/علي عبد القادر القهوجي، د/ فتوح الشاذلي، المرجع السابق، ص٩٥، د/ جلال ثروت، المرجع السابق، ص٩١، د/ محمد أبو العلا عقيدة، أصول علم الإجرام، دار الفكر العربي ١٩٩٨ ص ٩٤. أو بالاختلاط الفاضل. د/ فوزية عبد الستار، مبادئ علم الإجرام وعلم العقاب ١٩٧٢، دار النهضة العربية، ص ٤٩. أو بالمخالطة الفارقية أو الفارقة. د/ يسر أنور علي ود/ آمال عثمان ص ١٦٣. وأنظر في عرض هذه النظرية بالإضافة إلى المراجع المذكورة :

Leauté (J)، Criminologie et science pénitentiaire, , PUF, Thémis 1972, n°48.p.32; Sutherland (E) et Cressey (D), Principes de criminologie,Trad.Française,Paris,Ed.Cujas.1966.p. 88.

ولا القوانين، بل وربما زينت له طريق الجريمة. وبالتالي فإن تفسير السلوك الإجرامي يكمن في رجحان كفة الجماعة الأخيرة على كفة الجماعة الأولى. ويحق القول – عند سذرلاند– أن مخالطة الفرد للجماعات هي التي تكسبه السلوك السوي أو السلوك الإجرامي. والأمر يتوقف على طبيعة الجماعة التي يخالطها الفرد، فهي التي تفرق بين هذا وذاك. لذا أطلق صاحب النظرية عليها اسم (المخالطة الفارقة) (١).

وتجدر الإشارة إلي أن الشريعة الإسلامية قد نبهت من قبل على أثر الاختلاط في السلوك؛ فقد قال الله تعالى: ﴿ ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ٦٧ ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٠ ﴾(٣).

وورد عن الرسول ﷺ :" المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل " (٤). وقوله ﷺ : **"الوحدة خير من الجليس السوء والجليس الصالح خير من الوحدة"** (٥).

كما قال ﷺ:" إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يحذيك – أي يعطيك – وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحا طيبة ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد ريحا خبيثة"(٦).

---

(١) Bouzat Et Pinatel: Traité de droit pénal et de criminology.No.50, p.112; Gassin (R): op.cit., No 201, p. 170.

(٢) سورة الزخرف آية: ٦٧

(٣) سورة الحجرات آية: ١٠

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب الأطعمة، حديث رقم: ٧٣٩٩.

(٥) رواه أبو ذر الغفاري ، نقله السيوطي في الجامع الصغير وحكم عنه بأنه : صحيح.

(٦) رواه مسلم في صحيحه " كتاب البر والصلة والآداب " باب استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قرناء السوء، حديث رقم: ٢٦٢٨.

فقد مثّل ﷺ الجليس الصالح بحامل المسك ، والجليس السوء بنافخ الكير ، وفيه فضيلة مجالسة الصالحين وأهل الخير والمروءة ومكارم الأخلاق والورع والعلم والأدب ، والنهي عن مجالسة أهل الشر وأهل البدع ، ومن يغتاب الناس ، أو يكثر فجره وبطالته . ونحو ذلك من الأنواع المذمومة.

فدلت الآيات والآحاديث على أنه يجب على المرء اختيار الصديق الصالح، والبعد عن رفقاء السوء، لأن الشخص يتأثر بصاحبه.

- **تقدير نظرية المخالطة الفارقة:**

يحسب لهذه النظرية إبرازها لأهمية العلاقات الشخصية في تكوين السلوك الإجرامي، كما يحسب لها إنكارها وراثة السلوك الإجرامي.

ومع ذلك فقد أخذ على هذه النظرية أن اعتبار السلوك الإجرامي يتم بالتعلم عن طريق الاختلاط بنماذج إجرامية تحبذ انتهاك القوانين هو أمر يخالف الواقع، فمن الملاحظ عملا أن هناك من لا يختلطون بنماذج إجرامية ومع ذلك يقدمون علي الجرائم، كما أن هناك من يختلطون بهذه النماذج ولا يقدمون علي الجرائم.

كما أنها قد أنكرت أي دور للعوامل الفردية، العضوية والنفسية، في إحداث السلوك الإجرامي وهذا أمر لا يتفق مع الواقع، فوجود مجرمين علي الرغم من عدم وجود المخالطة الإجرامية يعني بكل بساطة وجود دوافع فردية دفعت به إلى سلوك سبيل الجريمة[1].

(١) د/ عبد العظيم مرسي وزير، المرجع السابق، ص١٠٨ وما بعدها، د/ بكري يوسف، المرجع السابق، ص٨٥ وما بعدها.

المطلب الرابع
الاتجاه التكاملي أو المختلط في تفسير الظاهرة الإجرامية
(العوامل المتعددة)

يسلم علماء الإجرام المعاصرين بأن الإجرام لا يمكن نسبته إلى عامل واحد، بل إن له عوامل متعددة، ولذا فيتعذر رد الظاهرة الإجرامية إلى عامل واحد سواء اتصل بالتكوين الطبيعي للمجرم أو اتصل بالبيئة المحيطة به. وقد تبين مما سبق أن ما يجمع الانتقادات التي وجهت إلى النظريات السابقة، هو أنها ركزت اهتمامها على عامل وأغفلت عوامل، أو قدمت تفسيراً لنوع من الجرائم دون باقيها، أو اقتصرت على بعض المجرمين دون البعض الآخر.

والواقع أن التفسير الصحيح للسلوك الإجرامي، لا ينبغي له أن يغفل أن هذا السلوك هو ظاهرة اجتماعية وظاهرة فردية في ذات الوقت. فالتفسير الذي يقتصر على اعتبار السلوك الإجرامي ظاهرة فردية في حياة الفرد ويغفل كونه ظاهرة اجتماعية (على نحو ما ذهب الاتجاه الفردي) يجانبه الصواب وبالمثل كذلك نجد أن التفسير الذي يقتصر على اعتبار السلوك الإجرامي ظاهرة اجتماعية في حياة المجتمع ويغفل كونه ظاهرة فردية، يضل الطريق أيضاً.

ومن هنا نشأ الاتجاه المختلط الذي يجمع بين الاتجاه الفردي والاتجاه الاجتماعي في إطار تفسير واحد للظاهرة الإجرامية تلتقي فيه

عوامل فردية بأخرى اجتماعية. وهذا هو الاتجاه السائد في العصر الحديث(١).

على أن أهم النظريات التي ذاع صيتها، ولقيت تأييداً من جانب عدد من فقهاء القانون الجنائي والباحثين في علم الإجرام، هي نظرية الاستعداد الإجرامي التي صاغها العالم الإيطالي "بنينيو دي توليو Benigno di tulio" في مؤلف له بعنوان "الأنتروبولوجيا الجنائية" صدر سنة ١٩٤٥(٢). ولذا رأينا أن نتناولها بشي من الايجاز.

- **نظرية التكوين أو الاستعداد الإجرامي لـ دي توليو Di Tullio :**

(١) د/ عبد العظيم مرسي وزير، المرجع السابق، ص١١٤، د/ علي عبد القادر القهوجي، د/ فتوح الشاذلي، المرجع السابق، ص٩٧. ومن النظريات التي قيل بها في هذا المجال: نظرية العالم الإيطالي (بندي Pende) ونظرية العالم السويدي (كينبرج Kinberg) ، فكلاهما قد جمع بين بعض العوامل الفردية والعوامل الاجتماعية في تفسير الظاهرة الإجرامية، وإن كانا قد رجحا كفة العوامل الفردية. ونظرية العوامل المتعددة لـ انريكو فيري Enrico Ferri أستاذ القانون الجنائي بجامعة روما، والذي نشر مؤلفه في علم الاجتماع الجنائي La sociologie criminelle سنة ١٨٨١. وخلص فيري من نظريته إلى القانون الذي اشتهر به وهو (قانون الكثافة الجنائية) أو (قانون التشبع الإجرامي) وهو يعني أن كل مجتمع، إذا توافرت فيه شروط معينة، سيكون له عدد من الجرائم يمكن أن تقع دون زيادة أو نقصان، فكما أن وضع مادة كيماوية داخل زجاجة بنسبة معينة في درجة حرارة معينة يؤدي إلى ذوبان هذه المادة بقدر معين لا يقبل الزيادة ولا النقصان، فكذلك وجود ظروف معينة في مجتمع معين تؤدي إلى وجود عدد معين من المجرمين لا يقبل الزيادة أو النقصان نظرا لحدوث حالة من التشبع الإجرامي الشبيهة بحالة التشبع في علم الكيمياء.

(٢) أنظر: Di Tullio, Manuel d'anthropologie criminelle, Paris, Payot, 1951, et Principes de criminologie clinique, Paris, PUF, 1967; Le problème de la constitution délinquantielle par rapport à l'état dangereux, Conférence du 2e Cours international de criminologie, Melun, 1954, p. 73-94; Canpera, Benigno Di Tullio, RSC, 1979, 669-671; PINTEL (J), Traité, n°146; PINTEL (J) 1987, Di Tullio Benigno, 213-214. ، د/ عبد الأحد جمال الدين، المرجع السابق، ص ٧٠٥ -٧٤٩، د/ هدى قشقوش، المرجع السابق، ص ٥٨.

تعد نظرية الاستعداد الإجرامي لـ دي توليو Di Tullio [١] من أشهر النظريات الحديثة في تفسير السلوك الإجرامي. وهي تقوم علي أساس أن بعض الأفراد لديهم استعداد أو ميل للإجرام دون غيرهم، غير أن هذا الاستعداد غير كاف وحده لسلوك الإجرامي، وإنما يلزم أن يصاحبه وجود عوامل بيئية مساعده. وأن الجريمة هي نتاج صراع بين العوامل البيولوجية(العضوية والنفسية) والعوامل الاجتماعية علي نحو تتغلب فيه النزعات والغرائز الفردية الأنانية التي تقوي عوامل الدفع إلي الجريمة علي قوة الردع عن الجريمة المستمدة من الدين والأخلاق والقيم الاجتماعية السائدة في المجتمع.

ويقرب دي توليو فكرته إلي الأذهان، فيشبه السلوك الإجرامي بالمرض الذي يصيب جسد الإنسان نتيجة لضعف مقاومة الجسم للجراثيم، فكذلك الجريمة يرتكبها الإنسان لضعف مقاومته للنوازع الشريرة الكامنة في نفسه والتي تدفعه إلي ارتكابها، وهي بذلك تعتبر مظهر لعجزه عن مقاومتها وتكيفه مع المجتمع بما يدعو إليه من أخلاق وقيم. فالجريمة نتاج لعدم قدرة الشخص علي التكيف مع القيم السائدة في المجتمع بسبب خلل عضوي ونفسي يتمثل في تكوينه أو استعداده الإجرامي[٢].

(١) " دي توليو" طبيب وعالم إيطالي، من أبرز من أشتغل بالعلوم الجنائية حيث عمل أستاذا لعلم طبائع المجرم بجامعة روما. وتسمي هذه النظرية بـ" نظرية التكوين أو الاستعداد الإجرامي"، وقد أصدر دي توليو مؤلفا له سنة ١٩٢٩بعنوان" التكوين الإجرامي La constitution délinquantielle" ضمنه نتائج أبحاثه المختلفة.

(٢) د/ هدى قشقوش، المرجع السابق، ص ٥٨.

ويُرجع "دي توليو" أسباب عدم التكيف الاجتماعي إلي نوعين من العوامل[١]:

الأول: وجود خلل في النمو العاطفي للشخص بسبب عوامل داخلية تتصل بالناحية الغريزية وما يصاحب ذلك من عدم تقبل هذا الشخص للقيم السائدة في المجتمع.

الثاني: وجود اضطرابات في الغدد الصماء نتيجة وجود التهاب بالمخ علي نحو يؤدي إلي اضطراب في الوظائف العضوية للشخص.

ويؤدي توافر أحد هذين النوعين من العوامل إلي القول بوجود استعداد أو تكوين إجرامي لدي من يتوافر لديه يجعله غير قادر علي التكيف مع المجتمع لعدم قدرته علي مقاومه الجريمة، إلا أن هذا الاستعداد الإجرامي لا يكفي بمفرده لارتكاب الجريمة وإنما لابد من تفاعله مع عوامل أخري وبصفة خاصة تلك العوامل المتعلقة بالبيئة أو المجتمع.

ويقسم "دي توليو" الاستعداد الإجرامي الذي يصيب الفرد فيضعف قدرته علي مقاومة الجريمة إلى استعداد أصيل، واستعداد عارض.

والاستعداد الإجرامي الأصيل: يجد مصدره في الخلل العضوي أو العصبي أو النفسي لدي الفرد علي نحو يؤدي إلي وجود ميل طبيعي إلي الإجرام. وهذا النوع متوافر لدي معتادي الإجرام ومحترفيه وأصحاب الجرائم الخطيرة بصفة عامه. ويسمي دي توليو أصحاب هذا النوع من الاستعداد الفطري أو الطبيعي" المجرمون بالتكوين".

أما الاستعداد العارض: فيجد مصدره في الظروف الخارجية المحيطة بالشخص والتي تضعف بصورة مفاجئة من قدرته علي مقاومة

(١) د/ بكري يوسف، المرجع السابق، ص٥٧ ومابعدها.

الجريمة. وهذا النوع متوافر لدي المجرمين غير الخطرين كالمجرمين بالعاطفة أو بالصدفة. ويسمي دي توليو أصحاب هذا النوع من الاستعداد العارض أو العرضي" المجرمون العرضيون".

ويري دي توليو أن الاستعداد الفطري أو الأصيل هو المنشئ للجريمة أو المسبب لها، في حين أن الاستعداد العرضي هو المهيئ للجريمة ليس أكثر.

وكما سبق ذكره فإن هذا الاستعداد الإجرامي، سواء كان أصيلا أم عارضا، لا يكفي بمفرده لارتكاب الجريمة وإنما لابد من تفاعله مع عوامل أخري وبصفة خاصة تلك العوامل المتعلقة بالبيئة أو المجتمع علي نحو يحوله من مجرد استعداد إلي سلوك إجرامي فعلي أي جريمة. ولذا يضع دي توليو المعدلة التالية: استعداد إجرامي + بيئة = جريمة(١).

ويقرر ضرورة فحص ودراسة الإنسان المجرم من جميع جوانبه التكوينية أو التشكيلية Morphologiques العضوية والنفسية والعقلية بالإضافة إلي البيئة والوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه لمعرفة الأسباب التي تدفعه للإجرام وما إذا كانت ترجع لتكوينه الشخصي الخاص به أم إلي تكوين البيئة المحيطة به(٢).

- **تقدير نظرية دي توليو:**

حظيت نظرية " دي تليو" بالقبول في ايطاليا وخارج ايطاليا؛ فقد أيدها كثير من علماء الإجرام، وكل ما قيل من اراء لتفسير السلوك الإجرامي لا يخرج في مضمونه عن نظرية التكوين الإجرامي، مع

(١) د/ هدى قشقوش، المرجع السابق، ص ٥٩، د/ علي عبد القادر القهوجي، د/ فتوح الشاذلي،المرجع السابق، ص٦٧، وما بعدها.

(٢) د/ بكري يوسف، المرجع السابق، ص ٥٨ ومابعدها.

استعمال تعبيرات مختلفة، كالميل الإجرامي أو الفساد الغريزي أو التكوين الفاسد. وهذه النظرية يؤيدها اغلب أساتذة علم الإجرام في مصر والدول العربية.

ولكنه وعلي الرغم مما حظيت به هذه النظرية من تقدير واهتمام لدي كثير من الباحثين لما لها من فضل في الغوص في أعماق التكوين الجسدي الإنساني وليس فقط بالشكل الخارجي، ولما لها من فضل في الاهتمام بشخصية المجرم وأثر البيئة عليه، ولما لها من فضل في بيان دور العوامل الاجتماعية والبيئية في الكشف عن الاستعداد الإجرامي أو تهيئة الظروف لوضعه موضع التنفيذ، إلا أنها لم تسلم من توجيه النقد إليها، وأهم هذه الانتقادات ترجع إلى أن فكرة التكوين أو الاستعداد الإجرامي التي قال بها دي توليو والتي يرجع إليها تفسير الظاهرة الإجرامية هي فكرة مبالغ فيها بدرجة كبيرة، فمن ناحية، هي فكرة لا يمكن إثباتها بطريقة علمية. ومن ناحية ثانية، لا يمكن لنا التأكد بطريقة علمية من أن كل من لديهم هذا الاستعداد يقدمون علي الجريمة. ومن ناحية أخيرة، فإن هذا الاستعداد لا يفسر لنا بعض صور الجرائم كتلك التي تحدث تأثير عوامل نفسية مدفوع إليها بظروف اجتماعية طارئة. فضلا عن اهتمامه بالتكوين العضوي للمجرم الربط بينه وبين السلوك الإجرامي وإهماله التكوين النفسي علي الرغم مما له من أهمية قد يكون معها سببا في ارتكاب الجريمة[1].

(١) د/ عبد الأحد جمال الدين، المرجع السابق، ص ٧٤٩، د/ هدى قشقوش، المرجع السابق، ص ٦٠، ٦١، د/ علي عبد القادر القهوجي، د/ فتوح الشاذلي،المرجع السابق، ص٦٩، وما بعدها، د/ بكري يوسف، المرجع السابق، ص٥٨، وما بعدها.

المبحث الثاني

التفسير الإسلامي للسلوك الإجـــرامي والظاهرة الإجرامية

تمهيد وتقسيم:

انتهينا فيما سبق إلى أن هناك عدة نظريات لتفسير السلوك الإجرامي والظاهرة الإجرامية: ومنها من يُرجع وجودها هذه الظاهرة إلى أسباب فردية شخصية داخلية، أي تتعلق بالتكوين الخلقي والنفسي لشخص الجاني، ومنها من يرجعها إلي عوامل خارجية اجتماعية متعلقة بالبيئة والتربية ودرجة التعليم والوسط الاقتصادي والسياسي... إلي غير ذلك من العوامل الخارجية التي تحيط بالجاني من الخارج. بينما هناك نظريات جمعت بين كل هذه العوامل في محاولة من جانبهم لتفسير تلك الظاهرة وأطلقوا علي محاولتهم هذه "التفسير التكاملي للظاهرة الإجرامية"(١).

وهذا الاتجاه التكاملي هو ما قرره علماء الشريعة الإسلامية من قبل؛ فهم يُرجعون أسباب السلوك الإجرامي إلى عوامل فردية ذاتية نفسية(٢) خلل نفسي داخل المجرم، بالإضافة إلى عوامل بيئية خارجية

(١) وهذه المحاولات وغيرها – بحق – هي التي أدت إلي ظهور وتطوير " علم الإجرام " حتى أصبح علما من العلوم الإنسانية، ووجد مكانه إلي جانب غيره من العلوم التي تهتم بالإنسان ومشاكله داخل المجتمع. د. بكري يوسف، المرجع السابق، ص٣.

(٢) أما بالنسبة للعوامل الفردية التكوينية العضوية أو البيولوجية – كما يراها لومبروزو وأنصاره– فإنها لا تتوافق مع المنهج الإسلامي. لأنها تعني أن الإنسان القديم هو إنسان متخلف عقلياً، ومتوحش سلوكياً وأنه يمثل ارتداداً إلى عصور ما قبل التاريخ. وأنه كان بربرياً، وهذه الأوصاف إذ نسبت إلى الإنسان القديم تشير في جملتها إلى أن ذلك الإنسان المتصف بها قد كان يومئذ بسبيل الوصول للمرتبة الآدمية التي وصل إليها لتوه بعد تجاوز المرحلة السابقة لها وهي مرحلة البهائم التي تطور منها بفعل عوامل النشوء والارتقاء التي قال بها داروين في نظريته الشهيرة. د/ حسنين عبيد، المرجع السابق، ص ٣٧، د/ عبد الأحد جمال الدين، المرجع السابق، ص =

باعتبارها عوامل منشطة للعوامل الداخلية. منطلقة في ذلك من أن الفرد ليس ابن بيئته بل هو ابن ذاته متأثرا ببيئته.

فأسباب الجريمة من وجهة النظر الإسلامية بحسب الأصل تكون داخل نفس الإنسان من الغرائز والشهوات أو الخضوع لوساوس الشيطان(١)، أو إتباع الهوى أو الوراثة أو المرض أو التكوين الخلقي والتشوهات الجسدية. والعوامل البيئية مهيئة ومساعدة.

فالعيوب الجسدية باعتبارها عيوبا تبعث في نفس صاحبها الشعور بالدونية، والإحساس بالاحتقار من الغير فتكون سببا في جره إلى سبيل

=

٧١٤. هو أمر يضاد الفكر الإسلامي في أبرز أصوله، وهو أصل المنشأ الأول المباشر لأول إنسان وجد على الأرض وهو نبي الله آدم – عليه السلام– إذ خلقه ربه ابتداء وأهبطه إلى الأرض مباشرة على هيئة سوية غاية الاستواء. ثم أن افتراض كون الإنسان القديم قد عاش متوحشاً بربريا هو افتراض غير صحيح، لا باستناده إلى فكرة النشوء والارتقاء فحسب، وإنما بمخالفته لواقع التاريخ الإسلامي. فالتاريخ الإسلامي – كما أشار إليه القرآن الكريم– يؤكد أن الإنسان ظل تحت عناية الله ورعايته وتوجيهه منذ أن لامست قدماه هذه الأرض، وأنه لم يترك بعيداً عن التوجيه والهداية، ولم يهمل، وذلك هو مقتضى قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ سورة البقرة الآية رقم ٣٨. انظر: د. علي حسن الشرفي، المرجع السابق، ص٤٦.

(١) قال تعالى: "الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء وَاللّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ"{٢٦٨}. سورة البقرة الآية رقم (٢٦٨). وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: "(إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم). صحيح مسلم. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٢م، ج١٤، ص ١٢٩. ويتضح ذلك أيضا في قوله تعالى: "فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ{٢٠} وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ"{٢١}. سورة الأعراف الآية رقم (٢٠-٢١)

وهذه المحاولات وغيرها – بحق – هي التي أدت إلي ظهور وتطوير " علم الإجرام " حتى أصبح علما من العلوم الإنسانية، ووجد مكانه إلي جانب غيره من العلوم التي تهتم بالإنسان ومشاكله داخل المجتمع. د. بكري يوسف، المرجع السابق، ص٣.

الجريمة لمقاومة الشعور بالنقص لديه وتجعل استعداده للانحراف أقوى من استعداده لحسن السلوك وهكذا [١].

وتجدر الإشارة إلى أن إسناد جريمة ما إلى سبب واحد غير صحيح؛ فمثلاً نستطيع أن نقول إن الفقر يدفع إلى السرقة، ولكننا نجد في الوقت نفسه أن السرقة لا تقع من كل فقير بل قد تقع أيضاً من الغني، فلو قلنا إن السرقة دافعها الفقر فقط للزم أن يسرق كل فقير وألا يسرق الغني. ولو قلنا أن الأخذ بالثأر سبب للقتل لكان لابد لكل ولي من أولياء الدم أن يقتل للأخذ بالثأر [٢]. وسوف نتحدث بشيء من التفصيل عن النظرية الإسلامية في المطالب التالية:

(١) د/ مهدية شحادة عبد السلام الزميلي، منهج الإسلام في مكافحة الجريمة، رسالة دكتوراه مقدمه لكلية الدراسات العليا بالجامعة الأردنية سنة ١٩٩٧م، ص: ي، د/على الشرفي، المرجع السابق، ص٦٦.

(٢) د/ مهدية شحادة الزميلي، المرجع السابق، ص٣٥.

المطلب الأول

الخلل النفسي كعامل ذاتي أو داخلي في تفسير السلوك الإجرامي

يقرر الشرع الإسلامي أن النفس هي مستودع الخير والشر بدليل قوله تعالى في كتابه العزيز ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠ ﴾ [1]. وقوله:﴿ **فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨** ﴾ أي: فأرشدها إلى فجورها وتقواها ، أي : بين لها ذلك، وهداها إلى ما قدر لها. قال ابن عباس:"فألهمها فجورها وتقواها" بين لها الخير والشر. وكذا قال مجاهد، وقتادة، والضحاك، والثوري[2].

---

(١) سورة الشمس الآيات رقم ٧،٨،٩،١٠ . ويستفاد من هذه الآية أمور ثلاثة:

١- تسوية النفس: أي : خلقها سوية مستقيمة على الفطرة القويمة ، كما قال تعالى: ﴿ **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٠** ﴾ سورة الروم آية: ٣٠.

٢- حالة إلهامها الخير والشر، فالأولى تأخذ به إلى الكمال وهو سر وجوده فيما الثانية تهبط به إلى مستوى الرذيلة بحيث يصبح (**كالأنعام بل هم أضل**) ليكون للإنسان حرية اختيار الطريق الذي يريد. ويُستفاد ذلك من الفعلين افلح (قد افلح) وخاب (وقد خاب) .

٣- تحول الإنسان من الفلاح إلى الخيبة ومن الخيبة الى الفلاح تعني إمكانية إصلاحه فيما لو خاب في مسعاه. وهذا يعني إمكانية تفاعل العوامل الداخلية والخارجية وتعاونها في تحديد سلوك الإنسان. حسن الحلو، التفسير الإسلامي للسلوك الإجرامي، مقال منشور على موقع:
http://www.shaimaaatalla.com/vb/showthread.php?t=8145

(٢) تفسير ابن كثير ، دار طيبة سنة النشر: ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م جـ ٨ ص٤١٢.

وعلى ذلك. فالمنهج الإسلامي يجعل الخلل النفسي وعدم سيطرت العقل والضمير علي شهوات النفس الأمارة بالسوء[١] أساساً وسبباً للسلوك الإجرامي[٢]؛ فقد ذهب العلماء المسلمون إلى أن الله سبحانه وتعالى قد خلق في الإنسان قوتين هما قوة النفس [٣] وقوة العقل[١]. ويتوقف نشاط

(١) للنفس إطلاقاتٌ كثيرة: فقد تُطلق على الذات وعلى الدم كما يقول الفقهاء" وما لا نفس له سائلة إذا وقع في الإناء ومات فيه فإنّه لا يُنجِّسه"، وتُطلق على غير ذلك، والذي يُهِمّنا هو إطلاقها على اللطيفة الرّبانيّة التي هى الأصل الجامع لقوتي الغَضب والشّهوة في الإنسان كما يقول أهل التصوف: لابد من مجاهدة النفس وكسرها، وكما يعبّر عنه القول المشهور . وهو ليس بحديث . أعدى أعدائك نفسك التي بين جنبيك وقد يرادُ بالنفس ذات الإنسان وحقيقته، وهى على كل حال من أعظم الدلائل على قدرة الله في خلقتها وأسرارِها قال تعالى في قسمه بها، وهو لا يقسم إلا بالعظيم الخطير: " **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا**" سورة الشمس : ٧ . ١٠. أي: من دنّسها بالمعاصي. إنّ هذه النفس توصف بأوصاف مختلفة بحسب اختلاف أحوالها، فإذا سكنت لأمرِ الله ولم تعارِضها الشهوات سمِّيت النفس المطمئنة، قال تعالى: "**يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ المُطمئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيةً مَرْضِيَّةً**" . سورة الفجر : ٢٧ ، ٢٨. وإذا قبلت أمر الله ومع ذلك قامت بمدافعة الشهوات واعترضت عليها سمِّيت النفس اللوّامة؛ لأنها تلوم صاحبها عند التقصير في الطاعة، قال تعالى: " **ولا أُقْسِمُ بالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ**" سورة القيامة : ٢. فإن أذعنت للشهوات ولم تعترض عليها وأطاعت الشيطان سمِّيت النفس الأمارة بالسُّوء قال تعالى: " **وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأمَارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاّ مَا رَحِمَ رَبِّي**" سورة يوسف : ٥٣. فأحسن أنواعها هي النفس المطمئنة، ثم النفس اللوّامة التي يُعبَّر عنها أحيانًا بالضمير حين يحاسب الإنسان بعد الفعل وعندما يتربَّى يُرشده إلى الخير قبل الفعل، ويحرُسه في أثنائه ويرضى عنه بعد انتهائه. ومهما يكن من شيء فهي ليست نفوسًا منفصلة، ولكنها نفس واحدة لها عدة أحوال، ويمكن بالتربية الدينيّة أن يتغلّب الإنسان على شهواته التي تدفعه إلى السوء وأن يجعل ضميره حيًّا يقظًا يأمره بالخير وينهاه عن الشرّ، وأن يتصاعد في التربية العملية حتى إلى حالة أو مقام تكون نفسه فيه راضية مطمئنة، وللمزيد من المعلومات يرجع إلى : إحياء علوم الدين للغزالي، جـ ٣ ص ١١ وما بعدها.

(٢) إلا أنها لم تهمل العوامل الخارجية بل تعتبرها مغلبة لإحدى القوى –قوى الخير وقوي الشر – على الأخرى.

(٣) والنفس الإنسانية تتكون من قوى متعددة. وهي:

١. القوة العقلية: وتأتي في المرتبة الأولى لتمييزها بين الخير والشر، كونها تدرك حقائق الأمور فتدفع الإنسان إلى فعل ما هو خير وتنهاه عن فعل ما هو شر.

٢. القوة الغضبية: وهي أداة القوة الأولى ووسيلتها للسيطرة على القوتين في محاولتهما الإفلات من سيطرة القوة العاقلة. وبها يدفع الفرد الأذى عن نفسه وإذا ما استقلت عن القوة العاقلة فإنها تقوم بهذا الواجب سواء كان مشروعا أو غير مشروع.

٣. القوة الشهوية: وظيفتها كل ما يتعلق بالجانب المادي للإنسان من مأكل ومشرب ومنكح دون ان =

النفس وقدرتها في استهواء الإنسان على مدي استعداد الشخص بالتأثر، وما يتمتع به العقل من قوة، وما يجد لدى صاحبه من احترام وتقدير، فالحكيم هو الذي يجعل لعقله سلطانا على نفسه، ولا يكون عنده العكس ممكنا، والجاهل الأحمق هو الذي يطلق لنفسه العنان بحيث إذا سمع نداءها انبعث على الفور في خدمته وإحضار شهوته[٢] فيكون ذلك منزلقاً إلى ميدان الجريمة[٣].

=

تراعي المشروعية فيما تحصل عليه.

٤. القوة الوهمية: دورها خلق الوسائل والطرق للوصول الى تحيق الهدف. وبذلك يمكن ان تستغلها الشهوية فتخلق لها الحيل التي توصلها الى هدفها المنشود. كما يمكن استغلالها من قبل القوة العاقلة لابتكار الطرق للوصول إلى عمل الخير.

ولكل من القوى الثلاث (القوة الغضبية والقوة الشهوية والقوة الوهمية) ثلاثة حدود: ١- حد الوسط وهو حد الاعتدال: عندما تخضع القوى الثلاث إلى سيطرة القوة العاقلة . بحيث تسيرها الأخيرة وفق الأهداف التي تسعى إلى تحقيقها. ٢- حد الإفراط: في حالة انفلات القوى الثلاث من سيطرة القوى العاقلة وتماديها في = =إشباع ما تهدف كل منهم إلى تحقيقة. ٣- حد التفريط: لا يختلف القول في هذا الجانب عن القول في الإفراط إلا أن نتائجه تكون عكسية. فهنا تتحول الشجاعة إلى عجز الإنسان عن الدفاع عن نفسه وهو الجبن وهو حالة مذمومة لتفريطه. د/ محمد عثمان نجاتي، الدراسات النفسية عند العلماء المسلمين، الطبعة الأولى، دار الشروق ١٤١٤-١٩٩٣، السيد كمال الحيدري، التربية الروحية ، مؤسسة الإمام الجواد للفكر والثقافة. منشور على موقع: alhaydari.com ، حسن الحلو، التفسير الإسلامي للسلوك الإجرامي، المرجع السابق.

(١) ذكر الإمام الدهلوي – في كتابه حجة الله البالغة ج٢، ص ٨٨، ٨٩ أن في الإنسان ثلاث لطائف هي العقل والقلب والنفس، فالعقل هو الشيء الذي يدرك بالحواس، ومن صفاته وافعاله اليقين والشك والتفكير، وأما القلب فهو الذي به يحب الإنسان ويبغض، وأما النفس فهي الشيء الذي به يشتهي الإنسان ما يستلذه من المطاعم والمشارب والمناكح، ومن صفاتها: الشره والشبق، ونحو ذلك..

(٢) إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي، ج٣، ص ١١.

(٣) وفي هذا المعنى ذكر الإمام السخاوي قول: "**أصل كل داء الرضا عن النفس**" ونسبه إلى كلام السلف، ومثله ما ورد على لسان القشيري "**آفة العبد رضاه عن نفسه بما هو فيه**" ومثله قول: ذي النون "**علامة الإصابة مخالفة النفس والهوى**" ثم ذكر حديث محمد بن المنكدر عن جابر مرفوعا "**أخوف ما أخاف على أمتي إتباع الهوى**". رواه البيهقي في شعب الإيمان حديث ٩٩١٠. وانظر: كتاب المقاصد الحسنة للسخاوي، ص ٦٢، د/ علي حسن الشرفي، المرجع السابق، ص٤٦.

وبذلك يبقى المنهج الإسلامي في مجال الدفاع ضد الجريمة منهجا متميزا إذ أنه يركز على قوتي العقل والضمير؛ فالعقل ميزان الاعتدال إذ يشير إلى أن الإشباع المفرط للغرائز إنما هو شأن البهائم، وأن الاعتدال هو شأن العقلاء من الناس، كما أنه يشير إلى أن الإفراط لابد أن يصحبه انتقاص من حق الآخرين، فهو قرين الظلم والطغيان، وذلك كله ليس شأن العقلاء من الناس(١).

وأما الضمير فإنه يجعل المرء يشعر في كل حالاته السرية والعلنية بالرقابة الدائمة من قبل الله سبحانه وتعالى(٢). كما أنه يجعله يشعر بأن عليه من الله حراساً حفاظاً يرقبون حركاته وتصرفاته ويرصدونها عليه(٣).

فإذا استشعر المرء هذه الرقابة(٤)، واستشعر معها عظيم الجزاء الذي يدخره الله لعباده المستقيمين على أمره، فإنه لابد أن يكف عن

---

(١) روى أبو أمامة أن غلاماً شاباً أتى النبي ﷺ فقال: يا نبي الله تأذن لي في الزنا فصاح الناس به، فقال النبي ﷺ "**قربوه ادن**" فدنا حتى جلس بين يديه فقال له النبي ﷺ "**أتحبه لأمك؟**" فقال لا، جعلني الله فداك. فقالﷺ "**كذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم**" "**أتحبه لأبنتك؟**" فذكر له الأم والبنت والأخت وهو يرد نفس الرد فوضع النبي ﷺ يده على صدر الغلام وقال: "**اللهم طهر قلبه وحصن فرجه**" فلم يكن شيء أبغض إليه من الزنا. الحديث رواه أحمد بإسناد جيد، رجاله رجال الصحيح، مشار إليه في إحياء علوم الدين للغزالي رحمه الله، جـ٢، ص ٣٣٤، وفي تفسير ابن كثير، جـ٣، ص٣٩.

(٢) فهو يسمع قول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾ سورة المجادلة آية: ٧.

(٣) فهو يسمع قول الله تعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ سورة الانفطار الآيات رقم١٠-١٢،

وقول الله تعالى: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ **سورة ق آية: ١٨**

(٤) يشير الباحثون في هذا الصدد إلى أن العلم الحديث قد أثبت بالدليل أن تصرفات الإنسان وأقواله تصور وتسجل على صفحات الأثير، وأن بوسع العلماء التقاط تلك الصور والتسجيلات ولو بعد حين من حدوثها، وذلك أمر يضاعف الإحساس بشدة الرقابة وأحكامها. جاء ذلك في كتاب "الإسلام يتحدى" لوحيد الدين خان، أشار إليه د/يوسف قاسم ، مبادئ الفقه الإسلامي، طبعة دار النهضة العربية، ص٤٠.

الطمع، ويمتنع عن الخروج عن أمر الله سبحانه وتعالى ولابد أن يقبل على فعل الخير والمعروف والإحسان، رجاء الفوز بما عند الله. وهذا هو الأسلوب الأمثل لحل مشكلة الشطط الغريزي، المنبثق عن غريزة حب الذات(١).

وعلى ذلك فالسلوك الإجرامي يمكن أن يحدث إذا لم يستطع كل من العقل والضمير السيطرة علي النفس الأمارة بالسوء أو النفس الشهوانية. وبذلك يمكن القول أن نظرية التحليل النفسي لـ سيجموند فرويد هي ترديد لما قال به الإمام الغزالي المتوفي ٥٠٥هـ، وحجة الله البالغة الدهلوي المتوفي ١١٧٦هـ، وغيرهما من علماء المسلمين.

وهناك الكثير من الآيات الكريمة، والأحاديث التي ترجع السلوك الإجرامي إلى عوامل ذاتية: فمن القرآن الكريم: قوله تعالى:﴿ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ أَوۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ٤٦ ﴾(٢).

وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ١٧٩ ﴾(٣). وقوله تعالى: ﴿ أَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيۡهِ وَكِيلًا ٤٣ ﴾ (٤) فالآيات الكريمة هي في معرض الكلام عن المجرمين الذين يخالفون أحكام الشرع،

(١) د/ علي حسن الشرفي، المرجع السابق، ص٦٠، ٦١.
(٢) سورة الحج، آية ٤٦.
(٣) سورة الأعراف آية: ١٧٩.
(٤) سورة الفرقان آية: ٤٣.

فتصفهم بأنهم عمي القلوب أي أن أسباب إجرامهم، وانحرافهم هو ذاتي، يتمثل في القلوب الفاسدة، وإتباع الأهواء وعدم إتباع الشرع.

ومن السنة الشريفة: قول الرسولﷺ : ﴿ طوبى لمن تواضع من غير منقصة، وذل في نفسه من غير مسكنة ، وأنفق مالا جمعه في غير معصية ، ورحم أهل الذلة والمسكنة ، وخالط أهل الفقه والحكمة، طوبى لمن ذل في نفسه ، وطاب كسبه ، وصلحت سريرته ، وحسنت علانيته، وعزل عن الناس شره ، طوبى لمن عمل بعلمه ، وأنفق الفضل من ماله ، وأمسك الفضل من قوله﴾[١].

وجاء في حكم الإمام علي كرم الله وجهه:" **من حسنت سريرته حسنت علانيته**"[٢].

- **استعداد الإنسان للتأثر:**

سبق أن ذكرت أن نشاط النفس وقدرتها في استهواء الإنسان يتوقف على مدي استعداد الشخص بالتأثر، وما يتمتع به العقل من قوة، وما يجد لدى صاحبه من احترام وتقدير؛ فالله تعالى قد أودع في الإنسان مجموعة من الاستعدادات، وجعلها جزء من طبيعته، وهذه الاستعدادات ليست إلا قوة سلبية كالأعضاء الحسية تظل واقفة عن العمل رغم وجودها، لا تنطلق حتى يطلقها الإنسان ولا تفعل حتى ينفعل بها وهي على نوعين، أحدهما استعداد لسلوك سبيل الخير، وهو يتجاوب مع مؤثرات الخير، فينشط الأعضاء لتسير في ركابها، والآخر استعداد لسلوك سبيل الشر، فهو يتجاوب مع المؤثرات الداعية إلى هذا السبيل، حتى تنزع بالإنسان إليه، وتسير به نحوه.

وهذا يعني أن الإنسان إذا تعرض لمؤثر من أي نوع مما ذكر فإنه يملك الاستجابة له لوجود ميل ذاتي في أعماقه يتعامل مع ذلك المؤثر.

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي، حديث رقم: ٧١٩١.

(٢) د/ أسامة سمير حسين، الاحتيال الإلكتروني: الأسباب والحلول ، الجنادرية للنشر والتوزيع، الطبعة الاولى٢٠١١م، ص ٩١.

كما أنه إذا تعرض لمؤثرات من كل اتجاه فإنه يتردد في سلوكه بين السبيلين – سبيل الخير وسبيل الشر – فيأتي من الأعمال ما يحمد عليه وما يذم، وذلك بحسب الدواعي والصوارف التي تتجاذبه وتتعامل مع الاستعدادات الفطرية الكامنة فيه. وهذا هو مقتضى قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ ﴾ (١).

والإلهام يعني هنا الإلزام الفطري القائم على الفطرة والجبلة (٢). وذلك لأن الإنسان مخلوق مزدوج الطبيعة، مزدوج الاستعداد فهو في طبيعة تكوينه مخلوق من عنصرين هما: طين الأرض ونفخة الله فيه من روحه فجاء من ذلك مزودا باستعدادات متساوية للخير والشر والهدى والضلال(٣). وذلك هو أيضاً مقتضى قول الله تعالى: ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠ ﴾ (٤).

(١) سورة الشمس الآيات رقم ٧ ، ٨.

(٢) تفسير القرآن الكريم للخطيب الشربيني، جـ٤، ص ٥٤٢، وتفسير ابن كثير، جـ٤، ص ٥١٧.

(٣) الأستاذ سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، جـ٦، ص ٣٩١٧. وقد ذكر الشيخ أبو القاسم الأصفهاني أن الإنسان مركب من نزعتين نزعة علوية تجعله شبيها بالملائكة ونزعة سفلية تجعله شبيها بالبهائم فهو وسط بين جوهرين، ومن ثم كان أهلاً للنزوع إلى أي من الاتجاهين ثم أشار إلى الحديث المروي عن رسول الله ﷺ "**إن الشيطان لمة بابن آدم وللملك لمه فأما لمة الملك فوعد بالخير وتصديق بالحق، وأما لمة الشيطان فإيعاذ بالشر وتكذيب بالحق،** ثم قرأ قول الله تعالى :" **الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء، والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً**" سورة البقرة الآية رقم ٢٦٨. أنظر، كتاب الذريعة إلى مكارم الشريعة للشيخ الراغب الأصفهاني، ص ٣٠ ، ٤٦. والحديث السابق أخرجه الترمذي والنسائي وابن حبان عن ابن مسعود. أنظر، الجامع الصغير للأسيوطي، جـ١، ص ٩٧ ،تفسير ابن كثير، جـ١ ، ص ٣٢٢.

(٤) سورة البلد الآية رقم ١٠. وقد قال العلماء في تفسير هذه الآية أن النجدين هما طريق الخير وطريق الشر، ثم ذكروا الحديث الذي رواه قتادة. قال ذكر لنا أن النبي ﷺ كان يقول "**أيها الناس إنما هما النجدان نجد الخير ونجد الشر فلم تجعل نجد الشر أحب إليك من نجد الخير**" يراجع تفسير القرطبي، جـ٢٠، ص ٥٦، وتفسير ابن كثير، جـ٤، ص ٥١٣. وقد ذكر الأصفهاني أن النجدين المذكورين هما العقل والهوى. الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص ٣٠. وانظر، د. علي حسن الشرفي، المرجع السابق، ص ٦٢: ٦٤.

وقد أفاض بعض العلماء في بيان هذه الصفة فذكر الإمام الدهلوي[١]: أن للنفس قوتين هما الملكية والقوة البهيمية، وأن حالهما في الإنسان على وجهين فتارة يجتمعان بالتجاذب وتارة بالتصالح، وفي حالة التجاذب تعمل كل منهما على الاستبداد بالإنسان وتسخيره لمصلحتها، فإذا غلبت إحداهما أضمحل نشاط الأخرى.

وفي حالة التصالح تعملان معا بتعادل فيحصل مزاج معتدل من غير إفراط ولا تفريط. ثم ذكر أن القوة الملكية هي جوهر الفطرة الأصلية التي هي انبثاق من النفحة التي أودعها الله هذا الإنسان فقامت بها آدميته، وأن القوة البهيمية هي الطبع الحيواني القائم على دواعي الأكل والشرب والنكاح، وأن هذا الطبع هو أهم الحجب التي تمنع ظهور الفطرة إذا ما استحكم أمره، ومن ثم فقد يتمخض الإنسان للبهيمية إذا هو أفرد في إتباع هوى نفسه [٢].

(١) حجة الله البالغة للدهلوي، جـ١، ص ٢٦ ومثله في علوم الدين الغزالي، جـ٣، ص ٨٠.

(٢) حجة الله البالغة جـ١، ص ٥٦، ٥٧ ، ومثله في الذريعة إلى مكارم الشريعة للأصفهاني، ص ٣٩.

المطلب الثاني

دور العوامل البيئية أو الخارجية وتأثيرها على السلوك الإجرامي

بعد أن ذكرت أن الطبع البشري يضم استعدادين ينزع كل منهما بالإنسان إلى اتجاه يُضاد الآخر، لابد من التأكيد على أن ذلك لا يعني بالضرورة التساوي التام بين الاستعدادين في قوة النزع الخاصة بكل منهما، بل قد يحصل تفاوت واضح فيهما من شخص إلى آخر، ليس ذلك فحسب، بل قد يتسع ذلك التفاوت أو يضيق في الشخص الواحد من وقت إلى آخر. ولا شك أن هناك من العوامل ما يساعد على وجود ذلك التفاوت وما يساعد على اتساعه أو ضيقه.

وعلى ذلك. فبالإضافة إلى العوامل الذاتية الكامنة في الخلل النفسي، هناك عوامل بيئية خارجية مهيأة ومساعدة تؤثر على السلوك الإجرامي، **تكون** نتيجة للتربية التي يتلقاها الأفراد داخل البيت وخارجه أو للأوضاع الاقتصادية أو السياسية أو التشريعية[1].

وهناك من الآيات القرآنية ما يشير إلى دور هذه العوامل اقتصادياً واجتماعياً في تفسير ظاهرة السلوك الإجرامي، نورد منها: قوله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ ﴾[2]. فالطغيان يستند إلى الإنسان الغني لا إلى طبيعة الإنسان.

ومما يدل على تأثير العوامل الاجتماعية في السنّة: قول الرسولﷺ: **﴿ كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ﴾** [3] فالأصل أن الإنسان مستقيم على الفطرة لا على

(١) د/ مهدية شحادة الزميلي، منهج الإسلام في مكافحة الجريمة، المرجع السابق، ص: ي.

(٢) سورة العلق آية: ٦، ٧.

(٣) رواه البخاري ومسلم، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. فتح الباري، بشرح صحيح البخاري، جـ٣، ص٢٩٠، رقم الحديث ١٣٨٥، وصحيح مسلم، جـ٢، ص ٤٥٨، وشرح النووي، المجلد الثامن، جـ١٦، ص٢٠٧ وما بعدها سورة العلق آية: ٦، ٧.

الانحراف". والانحراف يأتي من سوء التربية والتفكك الأسري وعدم الرقابة وغير ذلك من العوامل الاجتماعية السيئة، فهذا الحديث يدل على أن الإنسان طيب بفطرته صالح بطبيعته، وان الفساد يتسرب إليه من الخارج(١).

فالاتجاه الإسلامي وإن جعل الخلل النفسي وعدم سيطرت العقل علي شهوات النفس الأمارة بالسوء أساساً للسلوك الإجرامي إلا أنه لم يُهمل العوامل الخارجية بل يعتبرها مغلبة لإحدى القوى على الأخرى ولكنه

لا يُرجع لها السبب الرئيسي في تحديد السلوك كما تفعل المدرسة الاجتماعية؛ ففي التعلم النافع دفع للقوى الفكرية لسلوك طريق الخير وتجنب سلوك الشر. وبعكسها الثقافة الطالحة تؤثر على القوة الفكرية فتنشطها لابتكار كل وسيلة تدفع بالإنسان إلى العنف إذا اختار الشخص ذلك التوجه(٢).

فالعوامل البيئية أو الخارجية عند علماء المسلمين عوامل مهيئة ومساعدة للعامل الذاتي وهو الخلل النفسي؛ فهي تساعد على تفاوت

(١) د/ أسامة سمير حسين، المرجع السابق، ص ٩١. ومعلوم أن هذا الأصل لا يساوي العصمة التامة من الزلل، ولا يعني الجبر التام في التوجه صوب الخير على نحو يجعل الإنسان على شاكلة الملائكة وكل ما يعنيه هذا الأصل هو أن الإنسان ينشأ صالحا ما لم يجد من المؤثرات ما يصرفه عن حالة الصلاح. والاستناد إلى هذا الأصل يدحض الافتراض القائل بوجود مجرمين بالميلاد – كما يقول أنصار النظرية الوضعية التي تنسب للومبروزو وأنصاره، والتي تقوم على فكرة المجرم بالميلاد – إذ لا يمكن قبول ذلك الافتراض بعد التسليم بهذا الأصل، وهذا أمر لا تخفى فوائده، وذلك أن افتراض الانحراف الفطري يبعث على اليأس، فيمنع المجرم من محاولة التوبة ويمنع القائمين على أمر السياسة الجنائية من محاولة أعمال البرامج الإصلاحية على هذا النوع من المجرمين، بالإضافة إلى أن ذلك يجعل العقاب الجنائي غير عادل، لأن الجاني لم يذنب إذ هو مجبول على ذلك السلوك الذي قارفه. د/على الشرفي، المرجع السابق، ص٥٤.

(٢) د/ علي حسن الشرفي، المرجع السابق، ص٦٤، ٦٦، حسن الحلو، التفسير الإسلامي للسلوك الإجرامي، المرجع السابق.

الاستعدادات الذاتية لدى الإنسان ومن ذلك ما ذكره الإمام الدهلوي[١] وهو يشير إلى قوتي النفس وهما القوة الملكية والقوة البهيمية إذ قال: أن القوة الثانية "أي البهيمية" تخلق في الناس متفاوتة من حيث القوة والضعف، وأن التدبير المحيط بالإنسان من أكل وشرب وصحة وسقم ونحو ذلك وكذلك العادات والمألوفات كل ذلك يسهم في تحديد درجة القوة البهيمية أو ضعفها أمام القوة الملكية، ثم ذكر أن النفس الإنسانية قد تنطلق من اسر البهيمية فتخطف من حيز الملأ الأعلى ما ييسر لها من هيئة النورانية، كما قد تتأثر بالشياطين فتأخذ صفاتهم.

فقد جعل هذا الإمام الجليل المأكل والمشرب والصحة والسقم والعادات ونحوها أموراً تساعد على اتجاه الميل، وتعين أحد الاستعدادين حتى يظهر على الآخر فيسارع المرء إلى أعمال الخير ويبطئ عن الأخرى أو يكون العكس.

وقريبا من ذلك ما أشار إليه الإمام الغزالي إذ ذكر أن لدى الإنسان قوتين تتصارعان هي قوة العقل وقوة الغضب والشهوة، حيث تنزع القوة الأولى بالإنسان إلى الخير، وتنزع به القوة الثانية إلى غير ذلك، وقد تنقاد قوة الشهوة والغضب لقوة العقل فيعينه ذلك على فعل الخير، وقد تستعصي على الانقياد، وعندئذ سيستعين العقل بأجناده ومنها العلم والحكمة والتفكير، ويدور الصراع فإن ترك العقل هذه الاستعانة، وسلط على نفسه جند الغضب والشهوة هلك يقينا[٢].

ومن العوامل البيئية الاجتماعية المساعدة على سلوك الجريمة المعاناة في الصغر مثل تحقير الأولاد في البيت، أو المدرسة، أو في محل لعبه وما أشبه ذلك أو تدليل الأولاد أكثر من القدر المعتاد. أو عدم

(١) حجة الله البالغة للإمام الدهلوي جـ ١، ص ٢٦، ٢٧.

(٢) إحياء علوم الدين، ج٣، ص٦.

ملائمة ظروف الحياة مثل الفقر، أو الحرمان، وحالة الفوضى والحرب... وعدم استقامة العائلة وتفككها، فالأولاد الذين يعيشون في نطاق هذه الأسرة المفككة يكونون أكثر عرضة للانحراف واتخاذ منهج الإجرام، من أولئك الذين يعيشون في كنف الأسر التي تتميز بأمنها واستقرارها.

كما أن الحرمان يؤثر على الجسم نقصاً في جهاز من الأجهزة، سواء كان بسبب سوء التغذية، أو بسبب عدم الوقاية من الحر والبرد... فيؤثر الاختلال الجسمي في الاختلال النفسي؛ وبالتالي ينعكس اثر الاختلال النفسي على سلوك الفرد سلباً.

وتجدر الإشارة إلى أن المجتمع كلما كان أكثر انغلاقاً، كان أشد عرضة للانحراف، وكلما كان أكثر حرية صحيحة كان أكثر استقامة وأبعد عن الجريمة والانحراف. هذا من جهة، ومن جهة ثانية كلما بني المجتمع على إعطاء الحاجات، وتوفرت فيه وسائل الحياة كان ابعد عن تكوين الانحراف، والعكس بالعكس[١].

وبناءً على ما سبق. فإن علماء المسلمين كالإمام الغزالي _ وهو من علماء القرن السادس الهجري– قد ارجع السلوك الإجرامي إلى الخلل النفسي وعدم سيطرت العقل والضمير علي شهوات النفس الأمارة بالسوء وهو بذلك قد سبق (سيجموند فرويد) ونظريته في التحليل النفسي بقرون عديدة. كما أنه وغيره من العلماء كالإمام الدهلوي قد اعترف بالعوامل البيئية الخارجية كالمأكل والمشرب والصحة والسقم والعادات ونحوها وجعلها أموراً تساعد على اتجاه الميل نحو الجريمة بالإضافة إلى الاستعداد النفسي نحو السلوك الإجرامي، وهما بذلك قد سبقا دي تيليوا في نظريته التكاملية بزمن طويل.

(١) د/ أسامة سمير حسين، المرجع السابق، ص ٩١.

المطلب الثالث

الآثار المترتبة على الأخذ بالمنهج الإسلامي في تفسير الظاهرة الإجرامية ومدى الاستفادة منه

يستفاد من الأخذ بالمنهج الإسلامي في تفسير السلوك الإجرامي الأمور التالية[1]:

أولاً: أن المنحرف بسبب تغلب إحدى القوى على القوة العقلية يمكن إصلاحه وإعادته إلى جادة الصواب. على عكس ما هو مستفاد من النظرية البيولوجية فان مجرد توافر عدد معين من الصفات التي أسماها لومبروزو (سمات الانحلال) لتهيئة شخص ما حتى يكون مجرما. ولأن الإنسان ليس له اختيار هذه الصفات – مثل كبر الرأس وصغره وعرض جبهته أو ضيقها – فالإصلاح لا ينفع مع هؤلاء طالما لازمتهم هذه الصفات، وحيث لا يمكن تغييرها فلا يمكن إصلاحهم. بينما النظرية الإسلامية لا يعترف بأثر هذه الصفات أو بما يسمي بسمات الانحلال فهي تقوم على حرية اختيار الإنسان في تغليب إحدى القوى – قوي الخير وقوى الشر – على الأخرى وما دام ذلك ممكن فالإصلاح ممكن أيضا.

ثانياً: لا يفرق المنهج الإسلامي بين بني النوع الإنساني، وما ذكرته من قوى هي أساس في كل نفس إنسانية بغض النظر عن فقر الفرد وغناه، وسواء عاش في منطقة حارة أو باردة، أو سكن على أعلى جبل

(١) د/ محمد عثمان نجاتي، الدراسات النفسية عند العلماء المسلمين، المرجع السابق، السيد كمال الحيدري، التربية الروحية ، مؤسسة الإمام الجواد للفكر والثقافة. منشور على موقع: alhaydari.com ، حسن الحلو، التفسير الإسلامي للسلوك الإجرامي، المرجع السابق. د/ علي حسن الشرفي، المرجع السابق، ص٥٣ وما بعدها.

أو سهل كما ترى ذلك النظرية الاجتماعية. وبذلك لا تخرج النظرية الإسلامية عن الخط العام الذي اختطه الإسلام للإنسانية وهو المساواة بين الناس لقوله ﷺ: **﴿ كلكم لآدم وادم من تراب ﴾** (١). وعليه فهي تتماشى وحقوق الإنسان وخاصة حقه في المساواة بخلاف بعض النظريات التي يحاول إلصاق الصفة الإجرامية بمجتمعات معينة وإبعادها عن مجتمعات أخرى وما في ذلك من تفضيل للبعض على البعض الأخر. وبذلك لم تكن مثل هذه النظريات مقطوعة الجذور عن تلك التي تقسم البشر الى طبقات وتجعل السيادة والأفضلية لطبقة معينة(٢).

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب – باب في التفاخر بالأحساب حديث رقم: ٥١١٦ .

(٢) فمثلا يرى أنصار النظرية الاجتماعية أن الفقر والعنف يساعد كل منهما الأخر ويشجعه ويوعزون سبب ذلك بان هذه الطبقات لا تستطيع خرق الحواجز الثقافية التي تفصل بينها وبين المجتمعات الأخرى لذلك تبقى ثقافة الفقر ملازمة لهذه الطبقات ويستمر العنف فيها. وبذلك تكون الكثير من شعوب العالم –لا نريد ذكرها– حسب هذه النظرية منحرفة والعنف ملازم لها. في حين تتمثل الفضيلة في الشعوب الغنية– ونمتنع عن ذكرها وان كان المانعان مختلفين – . والمتأمل يجد أن في اتخاذ الفقر معيارا أو أساسا للإجرام فيه اعتداء على إنسانية الإنسان الفقير لاسيما وان الواقع يثبت أن الكثير من الفقراء يدفعهم فقرهم إلى التعفف حتى ليحسبهم الناس أغنياء من التعفف. في حين يدفع الغنى الأغنياء إلى التهور والرذيلة وارتكاب الجرائم.
وتظهر صورة مراعاة النظرية الإسلامية للمساواة في تفسير أسباب الجريمة على أساس واحد عند كل من يرتكبها. فمثلا سيطرت القوة الغضبية عند الإنسان المسيحي الأمريكي ودفعته لتفجير مبنى أوكلاهوما سيتي في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٩٥، وهي التي دفعت المتطرفين اليابانيين من جماعة (اوم شينريكيو) إلى استخدام غاز السارين السام لقتل عشرات الأبرياء في مترو إنفاق طوكيو عام ١٩٩٥، وذاتها التي دفعت العربي أو المسلم إلى تفجير مركزي التجارة العالمية في الولايات المتحدة الأمريكية عام ٢٠٠١. وهي نفسها التي دفعت إلى الحربين العالميتين الأولى والثانية، وهي التي دفعت إلى ضرب اليابان بالقنابل الذرية. فلا يمكن أن نرجع سببها إلى مرض نفسي إذا ما ارتكبت من قبل مواطنين ينتمون إلى شعوب معينة في حين ننسبها إلى الدين أو الفقر أو المحيط الاجتماعي إذا ارتكبت من قبل مواطنين آخرين. د/ محمد عثمان نجاتي، الدراسات النفسية عند العلماء المسلمين، المرجع السابق، السيد كمال الحيدري، التربية الروحية ، مؤسسة الإمام الجواد للفكر والثقافة. منشور على موقع: alhaydari.com ، حسن الحلو، التفسير الإسلامي للسلوك الإجرامي، المرجع السابق.

ثالثاً: لم يترك المنهج الإسلامي الفرد أسير العوامل الداخلية والخارجية مغلوب على أمره لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا، كما ذهبت النظريات الأخرى إلى هذا التوجه فجعلته معدوم الإرادة تجاه هذه العوامل فهي تعمل عملها فيه دون أن يستطيع تحريك ساكنا تجاهها، إنما له الإرادة وحرية الاختيار في تغليب إحدى القوى على القوى الأخرى. وبذلك يستطيع الإنسان التكامل حتى يصل إلى مرتبة الملائكة باتخاذه الطريق الوسط وهو طريق الاعتدال، إذ في الوسط الاعتدال وما في عداه الرذيلة. فإذا ما استطاع تغليب عقله على شهوته فهو أفضل من الملائكة. كما له أن يتسافل في الرذيلة حتى يصل إلى مرتبة الحيوان ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾[1].

وهنا تظهر فائدة الثواب والعقاب، فمن القبح أن يعاقب إنسان على عمل لا إرادة حرة له فيه بل هو مجبر عليه. فغاية العقاب هو إصلاح المتهم وردع غيره فإذا كان المتهم مكره على السلوك الإجرامي بحكم العوامل البيولوجية أو الاجتماعية فتنتفي الغاية من العقاب ويصبح فقط وسيلة للانتقام كما كان الحال قديما.

(١) سورة الأعراف آية: ١٧٩.

رابعاً: أن إتباع المنهج الإسلامي سوف يؤدي إلى الوقاية من الجريمة؛ ذلك إن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان للقيام بالعبادة في هذه الحياة الدنيا، وبين لآدم وحواء حين أهبطهما من الجنة أسباب سعادتهما في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤ ﴾[١] وهدى الله في كتاب الله عز وجل، قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢ ﴾ [٢] قال ابن عباس: "تضمن الله لمن قرأ القرآن، واتبع ما فيه، أن لا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة" ومن أعرض عنه، ولم يتعظ به، فينزجر عما هو مقيم عليه من خلاف أمر ربه، فإن له معيشة ضنكا أي ضيقة في الدنيا، وقال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: "المعيشة الضنك: عذاب القبر"[٣]. ولقد حصن الله الإنسان بكل ما يبعده عن الفساد والإجرام، حتى لا يشقى في هذه الدنيا. فحصنه بالعقيدة والرضا بالقضاء والقدر

(١) سورة طه، آيه ١٢٣، ١٢٤..

(٢) سورة البقرة، الآية ٢.

(٣) الطبري، جامع البيان، جـ٢٦، ص ١٦٣ – ١٦٤.

والعبادات والتشريعات. وهذه الحصون إذا التجأ إليها، فإنها تقيه من الجريمة، كما أنها تعالجه إذا استذله الشيطان فوقع فيها[١].

وبالإضافة لذلك فإن هذا المنهج يجعل مكافحة الجريمة مسؤولية الأمة بجملتها، ابتداءً بالحاكم وانتهاء بالأفراد، وقد جاء الإسلام بعقيدته المتمثلة في الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وما شرعه من العبادات من صلاة وصيام وزكاة وحج، والأخلاق الإسلامية والتشريعات الأخرى ليجفف منابع الجريمة، ويمنع وقوعها أصلاً. فإذا وقعت الجريمة كان هناك الحدود والقصاص والتعزير، التي تقلل من آثارها في المجتمع، وتردع الآخرين عن ارتكابها، فهي زواجر قبل الفعل موانع بعده.

والمتتبع لما جاء في كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وفي الأحكام التي استنبطها الفقهاء، يجد أن كل ما جاء به الإسلام من عقائد وشعائر تعبدية وأخلاق وتشريعات تنظم حياة البشر، لها أثر من قريب أو بعيد في نظافة المجتمع والأفراد من الجريمة، فيعيش الجميع في أمن وأمان وتعم السعادة للبشرية. لذا فإن العودة للإسلام في جميع شؤون الحياة، ذلك المعين الصافي هو الذي يحقق سعادة الأفراد في الدارين، كما يحقق أمن المجتمع[٢].

(١) د/ مهدية شحادة الزميلي، منهج الإسلام في مكافحة الجريمة، المرجع السابق، ص ٩٣.
(٢) المرجع السابق، ص: ك.

الخاتمة

في ختام هذا البحث أشكر الله سبحانه وتعالى جزيل الشكر وخالصه على أن وفقني ويسر لي أداء هذا البحث.

ولقد تناولت في هذا البحث دراسة الموضوعات المتعلقة بتفسير السلوك الإجرامي في ضوء النظريات الوضعية والمنهج الإسلامي. وتبين لي من خلال هذه الدراسة النتائج والتوصيات التالية:

أولاً: نتائج البحث:

- أن النظرية العضوية قد حصرت أسباب السلوك الإجرامي في أن المجرم يكون لديه عيوب تكوينية عضوية، ولم تهتم بالعوامل البيئية مما جعلها غير صالحة لتفسير السلوك الإجرامي؛ لأن البيئة من العوامل التي لا يمكن إغفال أثرها في ذلك.
- أن ما قال به " لومبروزو" صاحب النظرية العضوية من أن المجرم هو وحش بدائي انتقلت إليه عن طريق الوراثة خصائص الإنسان البدائي والتي عادت إلي الظهور بسبب عامل الوراثة، هو قول يفتقر إلي الصحة ولا يستند إلي أي أساس علمي. وهذا محض افتراء؛ فالعلم الحديث لم يستطع بعد أن يصل إلي رسم صورة واضحة المعالم ومؤكدة إلي ما كان عليه الإنسان البدائي، بل يمكن القول بأن الإنسان المعاصر لا يختلف عن الإنسان البدائي من حيث السمات والشكل الخارجي نظرا لانتماء كل منهما إلي ذات الجنس الواحد. وهذا ما يقرره المنهج الإسلامي؛ فأول إنسان وجد على الأرض هو نبي الله آدم – عليه السلام– خلقه ربه ابتداء وأهبطه إلى الأرض

مباشرة على هيئة سوية غاية الاستواء. قال تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ (١).

- أن قول " لومبروزو" بفكرة" المجرم بالميلاد"، لا يتفق من المنطق والعقل السليم، فليس من المنطقي القول بأن الشخص الذي يولد بصفات معينة يصير مجرما بصرف النظر عن الزمان والمكان التي يعيش فيه؛ فالجريمة ظاهرة نسبية تختلف باختلاف الزمان والمكان، وليس أدل علي ذلك من أن ما قد يعتبر جريمة في مكان أو زمان معين قد لا يعتر كذلك في مكان أو في زمان أخر.
- أن إنكار "لومبروزو" لفكرة حرية الاختيار كأساس للمسئولية الجنائية والقول بحتمية الجريمة. يؤدي إلي انتشار الجرائم تحت دعوى" الجبر والتسيير" وأنه ليس في الوسع تجنبها. وهذا يخالف المنهج الإسلامي؛ حيث إن الإنسان في الإسلام، يتمتع بحرية الإرادة والاختيار؛ بدليل قوله تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ ﴾ (٢).
- أن نظرية التحليل النفسي لـ "فرويد" حصرت أسباب الظاهرة الإجرامية في سبب واحد " الخلل والاضطراب النفسي"، فهي قد وقعت في ذات الخطأ الذي وقعت فيه المدرسة العضوية، ولم تختلف عنها إلا في إحلال المرض النفسي محل التكوين العضوي الداخلي أو الخارجي. وبالإضافة إلي ذلك فإنه لا يمكن التسليم بأن السلوك

(١) سورة التين آية: ٤ .

(٢) سورة الشمس الآيات رقم ٧ ، ٨.

الإجرامي في جميع صوره ناتج عن ضعف أو عجز في الأنا العليا نظرا لأن بعض الجرائم لا يمكن أن تنتج عن خلل أو عجز في الأنا العليا كالجرائم العاطفية، لأن عجز الأنا العليا أو تخلفها يعني انعدام المثل والقيم أي انعدام الأحاسيس والعواطف وهذا ما يتنافى مع الباعث علي الجريمة العاطفية المتمثل في" العاطفة" كالغيرة والحماس.

- أن ما ذكره "فرويد" في نظريته، قد سبقه إليه علماء المسلمين؛ فجعلوا الخلل النفسي وعدم سيطرت العقل والضمير علي شهوات النفس –الأمارة بالسوء – أساساً وسبباً للسلوك الإجرامي إلا أنهم لم يُهملوا العوامل الخارجية بل اعتبروها مغلبة لإحدى القوى –قوى الخير وقوي الشر – على الأخرى. وبذلك تفادوا النقد الموجه لنظرية "فرويد" وبذلك يمكن القول أن نظرية التحليل النفسي لـ سيجموند فرويد هي ترديد لما قال به الإمام الغزالي المتوفي ٥٠٥هـ، وحجة الله البالغة الدهلوي المتوفي ١١٧٦هـ، وغيرهما من علماء المسلمين.
- أن ما قرره أنصار المدرسة الجغرافية من تأثير الطبيعة والمناخ، قد سبق إليه علماء المسلمين فقد حدد "ابن خلدون" تأثير العوامل الجغرافية في طبيعة الفرد بشكل أدق عندما تكلم عن سكان المناطق المعتدلة طبيعة ومناخاً بأن " سكانها من البشر أعدل إحساساً وألواناً وأخلاقاً وأدياناً ... أما الأقاليم البعيدة عن الاعتدال فأهلها أبعد عن الاعتدال في جميع أحوالهم ، وأخلاقهم".
- أن التفكك الاجتماعي الذي قال به "سيليين" لا يجد له أصل في شريعة الإسلام؛ ذلك أنها تدعوا إلى التعاون والتآخي والتكافل بين أفراد المجتمع في الحضر وفي البدو، في المدينة وفي القرية. ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ ... وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا

تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾[1]. وقول الرسول ﷺ "مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ ، مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى" [2]. وقول الرسول ﷺ " السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ ، كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ" [3].

- أن الشريعة الإسلامية قد نبهت من قبل "سيذر لاند" على أثر الاختلاط في السلوك؛ فقد قال الله تعالى: ﴿ ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾[4].
- وورد عن الرسول ﷺ :" المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل " [5]. وقوله ﷺ : "الوحدة خير من الجليس السوء والجليس الصالح خير من الوحدة" [6].
- كما قال ﷺ:" إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يحذيك – أي يعطيك – وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحا طيبة ونافخ الكير إما أن يحرق

(١) سورة المائدة آية: ٢ .

(٢) أخرجه مسلم في البر والصلة والآداب باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم رقم ٢٥٨٦ ومعنى تراحمهم: رحمة بعضهم بعضا. وتوادهم: تحابهم. وتعاطفهم: تعاونهم والجسد: الجسم الواحد بالنسبة إلى جميع أعضائه. واشتكى عضوا: لمرض أصابه. وتداعى: شاركه فيما هو فيه. والسهر: عدم النوم بسبب الألم والحمى: حرارة البدن وألمه.

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري: حديث رقم: ٥٠٣٨، ومسلم: حديث رقم: ٢٩٨٢.

(٤) سورة الزخرف آية: ٦٧

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب الأطعمة، حديث رقم: ٧٣٩٩.

(٦) رواه أبو ذر الغفاري ، نقله السيوطي في الجامع الصغير وحكم عنه بأنه : صحيح.

ثيابك وإما أن تجد ريحا خبيثة"[١]. فدلت الآيات والأحاديث على أنه يجب على المرء اختيار الصديق الصالح، والبعد عن رفقاء السوء، لأن الشخص يتأثر بصاحبه.

- يُرجع علماء الشريعة الإسلامية أسباب السلوك الإجرامي إلى عوامل فردية ذاتية نفسية (خلل نفسي داخل المجرم) بالإضافة إلى عوامل بيئية خارجية باعتبارها عوامل منشطة للعوامل الداخلية. منطلقة في ذلك من أن الفرد ليس ابن بيئته بل هو ابن ذاته متأثرا ببيئته؛ فالمنهج الإسلامي وإن جعل الخلل النفسي وعدم سيطرت العقل علي شهوات النفس الأمارة بالسوء أساساً للسلوك الإجرامي إلا أنه لم يُهمل العوامل الخارجية بل يعتبرها مغلبة لإحدى القوى على الأخرى[٢]. فهم بذلك قد عرفوا الاتجاه التكاملي قبل "دي تيليو" وغيره مما قالوا بهذا الاتجاه.
- أن المنهج الإسلامي في مجال الدفاع ضد الجريمة منهجا متميزا إذ أنه يركز على قوتي العقل والضمير؛ فالعقل ميزان الاعتدال إذ يشير إلى أن الإشباع المفرط للغرائز إنما هو شأن البهائم، وأن الاعتدال هو شأن العقلاء من الناس، كما أنه يشير إلى أن الإفراط لابد أن يصحبه انتقاص من حق الآخرين، فهو قرين الظلم والطغيان، وذلك كله ليس شأن العقلاء من الناس.
- أن الأخذ بالمنهج الإسلامي في تفسير السلوك الإجرامي يؤدي إلى إصلاح المجرم وإعادته إلى جادة الصواب. بخلاف النظرية العضوية؛ فان مجرد توافر عدد معين من الصفات التي أسماها لومبروزو (سمات الانحلال) يجعل الشخص مجرما. ولأن الإنسان

---

(١) رواه مسلم في صحيحه " كتاب البر والصلة والآداب " باب استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قرناء السوء، حديث رقم: ٢٦٢٨.

(٢) إحياء علوم الدين للإمام ابي حامد الغزالي، دار المعرفة، بيروت ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣م ، ج٣، ص ١١.

ليس له اختيار هذه الصفات – مثل كبر الرأس وصغره وعرض جبهته أو ضيقها – فالإصلاح لا ينفع مع هؤلاء طالما لازمتهم هذه الصفات، وحيث لا يمكن تغييرها فلا يمكن إصلاحهم. بينما المنهج الإسلامي لا يعترف بأثر هذه الصفات أو بما يسمي بسمات الانحلال فهو يقوم على حرية اختيار الإنسان في تغليب إحدى القوى – قوي الخير وقوى الشر – على الأخرى وما دام ذلك ممكن فالإصلاح ممكن أيضا.

- أن المنهج الإسلامي لم يترك الفرد أسير العوامل الداخلية والخارجية، مغلوب على أمره لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا، كما ذهبت النظريات الأخرى إلى هذا التوجه فجعلته معدوم الإرادة تجاه هذه العوامل فهي تعمل عملها فيه دون أن يستطيع تحريك ساكنا تجاهها، إنما له الإرادة وحرية الاختيار في تغليب إحدى القوى على القوى الأخرى. وبذلك يستطيع الإنسان التكامل حتى يصل إلى مرتبة الملائكة باتخاذه الطريق الوسط وهو طريق الاعتدال، إذ في الوسط الاعتدال وما في عداه الرذيلة. فإذا ما استطاع تغليب عقله على شهوته فهو أفضل من الملائكة. كما له أن يتسافل في الرذيلة حتى يصل إلى مرتبة الحيوان ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾[1].

- أن إتباع المنهج الإسلامي سوف يؤدي إلى الوقاية من الجريمة؛ ذلك إن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان للقيام بالعبادة في هذه الحياة الدنيا، وبين لآدم وحواء حين أهبطهما من الجنة أسباب سعادتهما في

(١) سورة الأعراف آية: ١٧٩.

الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤ ﴾[1] وهدى الله في كتاب الله عز وجل، قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢ ﴾ [2] قال ابن عباس: "تضمن الله لمن قرأ القرآن، واتبع ما فيه، أن لا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة" ومن أعرض عنه، ولم يتعظ به، فينزجر عما هو مقيم عليه من خلاف أمر ربه، فإن له معيشة ضنكا أي ضيقة في الدنيا. ولقد حصن الله الإنسان بكل ما يبعده عن الفساد والإجرام، حتى لا يشقى في هذه الدنيا. فحصنه بالعقيدة والرضا بالقضاء والقدر والعبادات والتشريعات. وهذه الحصون إذا التجأ إليها، فإنها تقيه من الجريمة، كما أنها تعالجه إذا استذله الشيطان فوقع فيها.

- أن المنهج الإسلامي يجعل مكافحة الجريمة مسؤولية الأمة بجملتها، ابتداءً بالحاكم وانتهاء بالأفراد، وقد جاء الإسلام بعقيدته المتمثلة في الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وما شرعه من العبادات من صلاة وصيام وزكاة وحج، والأخلاق الإسلامية والتشريعات الأخرى ليجفف منابع الجريمة، ويمنع وقوعها أصلاً.

(١) سورة طه، آيه ١٢٣، ١٢٤..

(٢) سورة البقرة، الآية ٢.

ثانياً: <u>التوصيات</u>

- بناءً على هذه الدراسة وما توصلت إليه من نتائج، فإن من أهم التوصيات ما يلي:
- تدريس المنهج الإسلامي في تفسير السلوك الإجرامي والظاهرة الإجرامية؛ لما تميزت به عن النظريات الوضعية.
- إعداد دراسات مكثفة عن أسباب السلوك الإجرامي والظاهرة الإجرامية ونشرها عبر وسائل النشر المختلفة.

وأخيراً وليس آخراً، وبعد أن من الله سبحانه وتعالى عليَّ بإنجاز هذا البحث، فإنني لا أدعي إلمامي بكافة جوانب الموضوع، أو أنني قد أصبت الحقيقة في كل رأي أو اقتراح عرضته، ولا يمكنني الإدعاء بأني قد أعطيت الموضوع كامل حقه ، فإن كنت قد وفقت فذلك فضل من الله ونعمة، وأشكر الله على ذلك، وإن جانبني الصواب فأدعو الله الرحمةَ والمغفرةَ. وسأكون شاكرًا ، بل ومدينًا ، لكل من يشرفني بالتنبيه أو تدارك القصور، فعسى أن أوفق لتداركه، فكل فكر يقبل الجدل والنقاش مهما كانت وجاهته ومنطقيته.

وأخيراً اسأل الله العلي القدير أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، أفضل الصلاة وأتم التسليم.

تم بحمد الله وتوفيقه

قائمة بأهم مراجع البحث

اولاً: المراجع العربية:

(أ) كتب التراث:

ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد : مقدمة ابن خلدون – المطبعة البهية المصرية ، القاهرة

ابن كثير (٧٧٤) هـ تفسير ابن كثير لأبي الفداء إسماعيل بن كثير، الطبعة الأولى دار الفكر ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.

الأصفهاني (٥٠٢) الذريعة إلى مكارم الشريعة لأبي القاسم الراغب الأصفهاني، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.

الدهلوي (١١٧٦) هـ حجة الله البالغة للإمام أحمد بن عبد الرحمن الدهلوي، دار المعرفة، بيروت.

السخاوي (٩٠٢) المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة للإمام شمس الدين السخاوي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩م.

السيوطي (٩١١) هـ الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير للإمام "جلال الدين" عبد الرحمن السيوطي، طبعة دار القلم للتراث القاهرة

الشربيني (٩٧٧) هـ تفسير القرآن الكريم للإمام محمد الخطيب الشربيني، الطبعة الثانية، دار المعرفة، بيروت.

العسقلاني (٨٥٢) هـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر العسقلاني، دار الريان، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧م.

الغزالي (٥٠٥) إحياء علوم الدين للإمام ابي حامد الغزالي، دار المعرفة، بيروت ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣م.

القرطبي (٦٧١)هـ الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الكتاب العربي القاهرة ١٣٧٨هـ ١٩٦٧م.

قطب (معاصر) في ظلال القرآن، الطبعة التاسعة، دار الشروق ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.

مسلم (٢٦١) صحيح مسلم للإمام مسلم بن حجاج – مكتبة عيسى البابي الحلبي القاهرة.

النووي (٦٧٦) هـ صحيح مسلم بشرح النووي للإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، دار الريان، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

(ب) المراجع الحديثة:

- د/ ابراهيم عيد نايل، علم الإجرام طبعة دار النهضة العربية٢٠٠٨م
- د/ احمد حسني طه، مذكرات في علم الإجرام، طبعة بهجات للطباعة، دون تاريخ
- د/ أسامة سمير حسين، الاحتيال الإلكتروني: الأسباب والحلول ، الجنادرية للنشر والتوزيع، الطبعة الاولى٢٠١١م
- د/ بكري يوسف، مبادئ علم الإجرام والعقاب، طبعة دار الأزهر للطباعة سنة ٢٠٠٩م
- د/ جلال ثروت، الظاهرة الإجرامية دراسة في علم الإجرام والعقاب، الإسكندرية ١٩٨٣م
- د/ حسن الحلو، التفسير الإسلامي للسلوك الإجرامي، مقال منشور على موقع:

http://www.shaimaaatalla.com/vb/showthread.php?t=8145

- د/ حسنين عبيد، الوجيز في علم الإجرام وعلم العقاب، طبعة ١٩٧٨
- د/ رؤف صادق عبيد، اصول علمي الإجرام والعقاب، طبعة ١٩٨٩م
- د/ السيد كمال الحيدري، التربية الروحية ، مؤسسة الإمام الجواد للفكر والثقافة. منشور على موقع: alhaydari.com
- د/ عبد الأحد جمال الدين: الاتجاهات الانتربولوجية في تفسير الظاهرة الإجرامية، بحث منشور في مجلة العلوم القانونية والاقتصادية، السنة الحادية عشرة، العدد الثاني، يوليو ١٩٦٩م
- د/ عبد العظيم مرسي وزير، علم الإجرام وعلم العقاب، نشر دار النهضة العربية، بدون تاريخ، جـ١
- د/ عبد الفتاح الصيفي، علم الإجرام، طبعة بيروت، ١٩٧٣م
- د/ علي حسن الشرفي، المنهج الإسلامي في تدريس علم الإجرام، بحث منشور في مجلة الشريعة والقانون بالقاهرة –جامعة الأزهر العدد السابع – ١٤١٤هـ ١٩٩٣م
- د/ علي عبد القادر القهوجي، د/ فتوح الشاذلي، علم الإجرام وعلم العقاب، طبعة دار المطبوعات الجامعية،١٩٩٩م
- د/ عوض محمد عوض، مبادئ علم الإجرام، الإسكندرية، منشأة المعارف ١٩٧٣
- د/ فوزية عبد الستار، مبادئ علم الإجرام وعلم العقاب ١٩٧٢، دار النهضة العربية
- د/ محمد أبو العلا عقيدة، أصول علم الإجرام، دار الفكر العربي ١٩٩٨
- د/ محمد عبد المنعم حبشي، الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي والقانون، طبعة دار نصر للطباعة والنشر،٢٠٠٩م

- د/ محمد عثمان نجاتي، الدراسات النفسية عند العلماء المسلمين، الطبعة الأولى، دار الشروق ١٤١٤ ١٩٩٣م
- محمد فتحي، علم النفس الجنائي، جـ١، الطبعة الثالثة، ١٩٥٨م
- د/ محمود الحاج قاسم محمد ،نظريات ودوافع السلوك الإجرامي في التراث العربي الإسلامي ووسائل الوقاية منه، بحث منشور على موقع: http://www.baytalmosul.com
- د/ مهدية شحادة عبد السلام الزميلي، منهج الإسلام في مكافحة الجريمة، رسالة دكتوراه مقدمه لكلية الدراسات العليا بالجامعة الأردنية سنة ١٩٩٧م
- د/ هدى حامد قشقوش، أصول علمي الإجرام والعقاب، طبعة دار النهضة العربية ٢٠١٣م
- د/ يسر أنور علي ، د/ آمال عثمان، علم الإجرام والعقاب، ١٩٧٠م
- د/ يوسف قاسم ، مبادئ الفقه الإسلامي، طبعة دار النهضة العربية

ثانياً: المراجع الأجنبية:

- Bouzat Et Pinatel, Traité de droit pénal et de criminology.No.50.
- Canpera, Benigno Di Tullio, RSC, 1979, 669-671; PINTEL (J), Traité, n°146; PINTEL (J) 1987, Di Tullio Benigno
- Di Tullio, Manuel d'anthropologie criminelle, Paris, Payot, 1951, et Principes de criminologie clinique, Paris, PUF, 1967; Le problème de la constitution délinquantielle par rapport à l'état dangereux, Conférence du 2e Cours international de criminologie, Melun, 1954.
- Ferri (E), La sociologie criminelle, tradition française, Paris 1905
- Gassin (R), A propos de Criminologie et science pénitentiaire de M n° 185.
- Leaute (J), criminologie et science pénitentiaire, PUF, Thémis 1972, n°48.
- Sillen (TH), Conflit culturels et criminalité, Conférences Faites de l'université libre de Bruxelles les 23 et 24 mars 1960.
- Stefani, Levasseur, et Jambu-Merlin, Criminologie et science pénitentiaire.
- Sutherland (E) et Cressey (D), Principes de criminologie,Trad.Française,Paris,Ed.Cujas.1966.
- Szabo (D): Deviance et criminalite, textes - ed. Armand ollin - paris 1970.